

القوس العذراء

أبوفهم
محمود محمد شاكر

القوس العذراء

محمود محمد شاكر
أبوفهرا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ذِكْرِي

مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخْلَقَ فِي غُضُنِي
وَالَّذِي يَرَوْعِي سِرَّهَا سَتَرْنِي

وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَابَ فِي عُرْوِي
تَحْتَ الذَّمِّ الْحَيَّ مَهْمَا يُجِبُّ

سَكَنَتْ نَائِيًا عَمِيقَ الْمَدَى
فِي الصَّدَقِ مِنْ بَنَفَةِ الْمَشْتَلِ

في الرِّيحِ .. أَسْمَعَتِ اللَّعَاءَ الرَّهَقَ
يَنْفُخُ فِي الدُّغَالِ نَوْحَ الشَّجَلِ
وفي يَدِ الْقَوَّاسِ .. كُنْتَ الرَّسْحَى
تَنَادَمَتْ فِيهِ بَقَايَا أَمَلٍ
وفي يَدِ الرَّاحِي .. رَدَّتْ لَهَا
يَتَنَادُّ عَنْهَا كُلُّ صَيْدٍ غَفْلٍ
وفي ضَمِيرِ الْوَحْشِ .. أَنْزَلَتْهَا
مَنَازِلَ الْوَحْيِ بِخَطْوِ الرَّسْلِ

أُنَبِّتِي غُصْنًا ، وَأَنْظِقِي
لَحْنًا جَرِيحَ الشَّرِّ أَنِي هَدَلُ
عَلَى رَأْسِ مَلِجَةٍ .. عَلَى
أُوتَارِ مِنْهَجٍ جَدِيدٍ أَطْلُ
يَهْفُو ، وَيَزُورُ .. وَيُوحِي الصَّدى
لِلصَّوْتِ ، وَالشَّرَّ لَوُضْأٍ فَلَا
وَيَزِيغُ الرَّسْدَ عَنْ قِصَّةِ
فِيهِ لَيْتِي النَّفْسُ أَشَقَى مَثَلُ

غَنَّتْهَا.. فَانْصَرَتْ عَالَمًا
مِنْ نَفْسٍ فِي دَنْهَا لَمْ تَزَلْ
دَوَّبَتْهَا نَوْرًا .. وَشَفَقَتْهَا
عُذْرَاءً .. فِي خُلْدٍ ضَمَاهُ أَهْلٌ

نَفْسٍ بَلَفٌ مَا يَشُ الرِّهَى
وَأُخْتُهَا نَفْسٍ رَمِيْقَ الْأَمَلِ
لَأَمَانٍ فِي نَائٍ .. عَصَرَتْ الصَّبَا
فِي لَحْنِهِ ذُرْعَ زَمَانٍ رَحَلًا

ماضٍ، وآتٍ، ومَدَّةٍ أَوْضَتِ
 فِيهِ رُفَايَاكَ أُنْزِلَتْ شَقْلُ
 مَا هِيَ قَوْسٌ فِي يَدَيْهِ نَابِلٍ ..
 وَلِنَّمَا أَلْفَاخٌ سِجِّ قَوْلٍ !!

الحفيس ١٦ من ذوالقعدة ١٣٨٤ هـ

حنا امعل
 محمود

قوس الشَّماخ

الشمّاخُ بن ضِرَارٍ الغطفانيُّ :

واسمُه : مَعْقِل ، وَكُنْيَتُه : أبو سعيد . شاعرٌ
 فحلّ ، صحابيّ أدرك الجاهليّة ثم أسلم . وهو أحدُ غُورَانِ
 قيس الخمسة من فحول الشعر : ابن مُقْبِل ، والرّاعي ،
 والشمّاخُ ، وابن أحمر ، وحُمَيْد بن ثَوْرٍ . وَعَلَى عَوْرِهِ كانَ
 وصافاً ، أجادَ صِفَةِ حُمُرِ الوحشِ . أنشِدَ الوليد بن
 عبد الملِك شيئاً من شعره في صِفَتِها فقال : « ما أوصَفَه لها !
 إني لأَحْسِبُ أَحَدَ أبَوَيْهِ كانَ جَمَارًا ! » وذلك لأنّه كانَ
 يتدسّسُ في ضمائرِ الحُمُرِ فينطِقُها بما تَكْتُمُ ! غزا في فتوح
 عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وشهد القادسيّة ، ثم غزا أَذْرَبِيجَانَ مع
 سعيد بن العاصِ ، فاستُشْهِدَ في غزوة مُوقَانَ ، سنة أربع
 وعشرين من الهجرة ، على عهد عثمان ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا .

- (١) حَلَّاهَا : طردها عن الماء ومنعها ، والضمير لِحُمْرِ الوحش . وذو الأراكمة : موضع ماء . والحُضْرُ : قبيلة منها عامر الحضريّ الرامي ، مُعَمَّر (رضى الله عنه) ، له حديث واحد عن رسول الله ﷺ ، له ترجمة في الإصابة لابن حجر ، وذكر أنّ حديثه رواه أحمد ، وغاب عنى في المسند ، ولكن رواه أبو داود في السنن في كتاب الجنائز « باب الأمراض المكفرة للذنوب » .
- (٢) التَّلَاد : المال القديم الموروث . تَارَز : الذى ييس فى مكانه ومات ..

- (٣) الزُّرْق : السهم فى شدة بياضها . والرَّمْيُ : المرمى . والنبع : شجر تُتخذ منه القسي ، أصفر . والجلائز : عصب يُلَوَّى على القوس ليشدّها من غير عيب بها .

١ ... فحلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكَِةِ عَامِرٌ
أَخُو الْخُضَرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ

٢ قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ ،
كَأَنَّ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزُ

٣ مُطْلًا بِزُرْقٍ مَا يُدَاوِي رَمِيَّهَا ،
وَصَفَرَاءَ مِنْ نَبْعٍ عَلَيْهَا الْجَلَائِزُ

(٤) الضَّالُّ : شجر تُتَّخَذُ منه السهم كالنبع ، أصفر ، طيب الرائحة .
الشَّدَب : الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجرة .

(٥) كَنَّهَا : سترها في كِنٍ . والغِيل : الشجر الملتف ، ويسكنه الأسد ويحميه . وشجر متلاحز : متضايق دخل بعضه في بعض .

(٦) يَنْجُو : يقطع ما يؤذى . يَنْقُلُ : يدخل في شيء متلاحم على مشقة .
بارز : ظاهر للشمس .

(٧) أَنْحَى عليها : قصد وأقبل يقطعها . وغراب الفأس : حُدُّها المرفف .
والعِضَاه : شجر عظيم ذو شوك . مشارز : شرس ساء الخلق .

٤ تَخَيَّرَهَا الْقَوَّاسُ مِنْ فَرْعِ ضَالَةٍ
لَهَا شَذَبٌ مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِزُ

٥ نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،
فَمَا دُونَهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَاوِزُ

٦ فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسِ
وَيَنْغَلُّ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ

٧ فَأَنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

(٨) أَزَوَّرَ : مال وأعرض . من يُحَاوِرُ : من يخالطه من أصحابه الذين في حوزته .

(٩) مَظَعَهَا : وضعها في حرِّ الشمس لتشرب ماء لحائها . واللَّحَاءُ : قشر العود . وغمز العود : جسسه ، لكي ينظر أين يُلَيِّنُهُ ويقيمه .

(١٠) الثَّقَافُ : خشبة في طرفها حُرْقٌ يتسع للقوس ، فتدخل فيها وتغمر حتى تُسَوَّى . والطريدة : قصبة مجوّفة خشنة الجوف تُدْخَلُ فيها القوس لتَبْرَى قشربتها .
الدرء : العوج . والشَّمُوسُ : الفرس العصية الجموح . والمهامز (جمع مِهْمَاز) : تنحس به الدواب لتستقيم . وتقويم ضغنفا : تأديبها حتى يلين قيادها .

(١١) ذاق : جَذَبَهَا ليختبر شدتها أو لينها . وكَفَى : أي كافٍ لا يزيد عن الحاجة . ويُفَرِّقُ السهم : أي يستوفى جذبها فيلين ، فرما قطع السهم يد الرامي . يقول : لها حاجز من القوة والصلابة يمنع لينها أن يبلغ به الرامي إلى إغراق السهم .

٨ . فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتُ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنًى
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزْوَرَ عَمَّنْ يُحَاوِرُ

٩ . فَمَظَّعَهَا عَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،
وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِرُ

١٠ . أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دَرَاهَا ،
كَمَا قَوِّمَتْ ضِعْفَ الشُّمُوسِ الْمَهَامِرُ

١١ . وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ جَانِبًا
كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِرُ

(١٢) أنبض القوس : جذب وترها ، فإذا أطلقه نبض ورناً . الشكلى : التى مات ولدها . والجنائز (جمع جنازة) : وهو الميت نفسه هنا .

(١٣) هتوف : لها صوت عال . وحذف جواب « إذا » كأنه معلوم لاشك فيه ، أى إذا أصابه السهم مات على المكان . ريع : دُعر . وأسلمته : خذلته ولم تحمله . والتواقر : قوائمہ التى يثْقُر بها ، أى يقفز .

(١٤) الزعفران : من الطيب ، أصفر ، من زينة النساء ولاسيما فى العرس . وتُميره : تصبّ فيه الماء لتذيقه . والخوازن : النساء التى تحزنه . والكواثر : التى تكنزه فى وعاء ، وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته .

(١٥) الأنداء (جمع ندى) : وهو بلل الصباح . أشعرت : ألبست . والخبير : ثوب موشى من الحرير الناعم . والمعاوز : الثياب الخليفة يلبسها المساكين . لم تُدرج : لم تُطو عليها ، بل تصان بالحرير .

١٢ إِذَا أَبْضَرَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرْنَمَتْ
تَرْنَمَ تَكَلَّى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

١٣ هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الظُّبَى سَهْمُهَا !
وَإِنْ رِيحَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

١٤ كَانَ عَلَيْهَا زَغْفَرَانًا تُمِيرُهُ
خَوَازِنُ عَطَارٍ يَمَانٍ كَوَانِزُ

١٥ إِذَا سَقَطَ الْأُنْدَاءُ ، صَيِنَتْ وَأَشْعَرَتْ
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرِجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

(١٦) أهل المواسم : مجامع الناس في زمن الحج . وبيع : مشتري يحسن البيع والشراء . والسوم : المساومة . ورائز : مختبر لشدتها وثقلها .

(١٧) هل تشتريها : هل تبيعها ؟ . والتلاد : المال القديم الموروث . والحرائز : التي تُحَرَز ولا تباع لنفاستها .

(١٨) الشرعي : من أجود الثياب وأغلاها . والسيراء : ثياب مخططة نفيسة . أو أواق : « أو » بمعنى واو العطف هنا ، والأواق (جمع أوقية) وهي من الموازين . ونواجز : حاضرة غير مؤجلة .

(١٩) ثمان : يعني ثمانى أواق من الذهب . والكورى : منسوب إلى كور الصائغ الذى توقد فيه النار ، معنى ذهباً مصوغاً . أذكى النار : ألقى عليها ما تذكو به ، أى تشتعل ويشتد لهبها . والحائز : صانع الخبز على النار .

١٦ فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَانْتَبَرَى
لَهَا بَيْعٌ يُغْلَى بِهَا السَّوْمَ رَأَتْهُ

١٧ فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! فَإِنَّهَا
تُبَاعُ بِمَا بَيْعَ النَّلَادُ الْحَرَائِرُ !

١٨ فَقَالَ : إِزَارٌ شَرَعِيٌّ ، وَأَرْبَعُ
مِنْ السَّيَرَاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

١٩ ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَأَنَّهَا
مِنْ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ

(٢٠) بُردان : تثنية بُرد ، والحال : موضع تصنع به الثياب النفيسة الرقيقة .
وعلى ذاك : أى مع ذاك . والمقروط : المدبوغ بالقَرْط . والماعز : جلد المعزى ، وهو من
أجودها .

(٢١) أميرها : الذى يؤامره ويشاوره . ويمجاوز : يتركه ويمضى .

(٢٢) لاهز : دافع مانع .

(٢٣) شراها : باعها . وحزاز : قاطع يحز حزاً شديداً . والوجد : أشد الحب
وأحره . وحامز : مُمِضٌ مُحَرِّق .

٢٠ وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتَسْعُونَ دِرْهَمًا ،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَاعِزُ

٢١ فَظَلُّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ

٢٢ فَقَالُوا لَهُ : بَايَعْ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رَيْحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِرُ

٢٣ فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً ،
وَفِي الصَّدْرِ حَزَازٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزُ

القوس العذراء

(٣) أعوزه الأمر يُعوّزه : إذا اشتد عليه وعسر ، واحتاج إليه فلم يقدر عليه .

(٦) ينسرب : يجرى سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه .

إلى صديق لا تبلى مودته :

أما بعد ، فإنى لم أكن أتوقع يومئذ أن ألقاك ، وإذا
كنت قد أوتيت حياء يغلبك عند البعثة على لسانك ، حتى
٣ يُعوزك ما تقول ، فقد أوتيت أنا ضرباً ثثاراً من الحياء ،
يُطلق لسانى أحياناً ، عند البعثة ، بما لا أحب أن أقول ، وبما
لا أدري كيف جاء ، ولم قيل ! كنت خليقاً يومئذ أن أقول
٦ غير ما قلت ، ولكنى وجدت شيئاً منك ينسرب في نفسى
فيثيرها ، حتى يدور حديثى كله على إتقان الأعمال التى
يتاح للمرء أن يزاولها - فى لمحة خاطفة من الدهر ، نسميها
نحن الناس : العمر !! يا له من غرور ! بيد أن هذا الحديث

أبى إلا أن ينقلبَ عائداً معى فى الطريق ، يُساورنى ،
 ويُصاحِبُنى ، ويُوْنِسُ وَحْشَتى ، ويُسرُّ إلى بوسوسةٍ خفيّةٍ
 من أحاديثه التى لا تتشابه ، والتى لا تتناهى ، والتى هى
 أيضاً لا تُملّ . وإذا كانت ثروةُ حياى قد صكّت مسامعك
 ببعض عُنفى وصرامتى ، فعسى أن يبعثَ فى نفسك بعضَ
 الرضى ، ما أرويه لك من بقايا تلك الأحاديث ، التى
 رافقتنى منذُ فارقتك ، إلى أن استقرتْ بى الدارُ ، ثم طارتْ
 عَنى إلى حيثُ يطير كُلُّ فِكْرٍ ، وغابتْ حيثُ يَغيب !

* * *

الإنسانُ خَلُوقٌ عَجِيبٌ !! كلُّ حَيٍّ ، بل كُلُّ شَيْءٍ مخلوق ،

(١) النهج : الطريق المستقيم الواضح البين . واللاحب : الطريق الواسع الأملس ، لا يعوقك في مسيرتك فيه شيء . والهدى : السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضل عنها .

(٥) لا يتخلف : لا ينقطع عنها فيتأخر ، ويأتى في غير مواعده ومكانه .
والذرة : النملة الصغيرة الحمراء ، النمل (جمع نملة) .

(٧) تقضى نحبها : تفرغ من عملها ، وتبلغ مدة أجلها .

(٨) تفرق : تخرقه وتخرج منه ضالة على وجهها .

(١٠) تحدث : تبدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها .

- ١ يسيرُ على نهجٍ لاجِبٍ لا يَحْتَلِّ ، يُؤَيِّده هَدىً صادقٌ
لا يَتَبَدَّلُ . ومهما تباينت مَسالكُهُ في حياته ، وتنوعت
أعمالُهُ في حِياطةِ مَعيشتِهِ ، فالنَهجُ في كُلِّ دَرَبٍ من دُروبِها
هُوَ هُوَ لا يَتَغَيَّرُ ، والهُدى في كُلِّ شَأْنٍ من شُؤُونِها هُوَ هُوَ
٥ لا يَتَخَلَّفُ . تُولَدُ الذَّرَّةُ مِنَ النَّمالِ ، وتنمو ، وتبدأ سَيرَتِها
في الحِياةِ ، وتعمل فيها عَمَلِها الجَدَّ ، وتَفْرُغُ من حَقِّ
٧ وجُودِها ، ثم تَقْضِي نَحْبَها وتموت . هَكَذا هِيَ مُذْ كانت
٨ الأَرْضُ وكانت النَّمالُ : لا تَتَحَوَّلُ عَنِ نَهجِ ، ولا تَمُرُّ من
هَدىٍ . وتاريخُ أَحدِثِها مِيلادًا في مَعْمَعَةِ الحِياةِ ، كتاريخِ
١٠ أَغْرَقِ أَسلافِها هَلاكًا في حَوْمَةِ الفَناءِ . لا هِيَ تُحْدِثُ
لنَفسِها نَهجًا لم يَكُنْ ، ولا هِيَ تَبْتَدِئُ لوارِثِها هَدىً لم يَتَقَدَّمْ .

(٢) سَنَ الطريق : بَيَّنَّه ووطَّاه مستقيماً إلى قصد معروف .

(٣) نَسَقًا : أى نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل . منقادًا : سَلَسًا مفضيًا إلى نهايته .

(٤) التُّراث : الإرث الموروث . والمؤنَّد : الخالد منذ أهد الآبدن .

(٥) السُّنَّة : الطريقة والسيرة اللازمة .

(٦) المنهاج : المسلك الواضح . والغابر : الماضى . والشُّرك : جادة الطريق لا تخفى معالمها ، لظهور آثار السائرين فيها ، فالسائر كأنه يهتدى فيها ويستقيم اضطراراً .

- فسَلِّ كُلَّ حَيٍّ : كيف تعملُ ؟ ولمَ تعملُ ؟ ومنَ الذي
- ٢ عَلَّمَكِ وَهَذَاكَ ؟ ومنَ الإمامِ الذي سَنَّ لكِ الطريقَ ؟ وبأيِّ
- ٣ عبقريةٍ يأتي إبداعُكَ ؟ ولمَ كانَ عملُكَ نَسَقًا مُنْقَادًا لا يَتَغَيَّرُ ؟
- ٤ وكيفَ كانتِ مَهَارَتُكَ ثَرَاتًا مُؤَبَّدًا لا يَتَبَدَّلُ ؟ وَحَذَقُكَ طَبْعًا
- ٥ رَاسِخًا لا يَتَحَوَّلُ ؟ ولمَ صارتِ سُنَّةُ الأَوَّلِ منكمِ لِرَافِعًا على
- ٦ الأَوَّخِرِ ؟ وَمِنْهَاجُ الغَابِرِينَ شَرَكًا لِلوَائِثِينَ ؟ بل كيفَ أخطأَ
- الآخِرُ منكمُ أنَ يَسْتَدْرِكَ عَلَى الأَوَّلِ ؟ وَالْخَلْفُ أنَ يُنَافِسَ
- صَنْعَةَ السَّلَفِ ؟ وَعَجَبًا إِذْنُ ! كيفَ صارَ كُلُّ عَمَلٍ تَعْمَلُهُ
- مُتَقَنَّأً ، وَأَنْتِ لَمْ تَجْهَدِي فِي إِتْقَانِهِ ؟ وَأَنْتِ بَلَغْتَ فِيهِ الغَايَةَ ، وَأَنْتِ
- مَسْلُوبٌ كُلُّ تَدْيِيرٍ وَمَشِيعَةٍ ؟ وَمَا أَنْتِ وَعَمَلُكَ ؟ أَتَحِبُّهُ وَتَأْلُفُهُ ؟

(١) تَشْنُوهُ : تجده قبيحاً شنيعاً فتبغضه . وتُخَامِرُكَ : تخالط نفسك فتغطّي
على حسن تمييزك ، كما تفعل الخمر بالعقول .

(٨) مَنْدَرَجٌ أَوَّلُهُ : ديب آباءه الأولين عليها ، وَدَرَجُ الصَّبِيِّ : دبٌّ على الأرض
ومشى مشياً ضعيفاً .
(٩) الْفَرَطُ : السابق المتقدم .

١ أم تَشْنُوهُ وتَسْأُمُهُ ؟ أَتُخَامِرُكَ نَشْوَةُ الإعْجَابِ بما أبدعت فيه ؟
 أم تَتَنَابَلُكَ لَوْعَةُ الْحُزْنِ إِذَا أَصَابَهُ مَا يُتْلَفُهُ أَوْ يُؤْذِيهِ ؟ أَلَمْ تَسْأَلْ
 نَفْسَكَ قَطُّ : فِيمَ أَعْمَلُ ؟ وَلَمْ تُخْلِقْتُ ؟ وَفِيمَ أَعِيشُ ؟
 وأنا على يقين من أَنَّكَ لَنْ تَسْمَعَ جَوَابًا إِلَّا الصَّمْتَ
 الْمُسْتَنْكَرَ ، وَالذُّهُولَ الْمُعْرِضَ ، وَالصَّمَمَ الْمُسْتَخِفَّ الَّذِي
 لَا يَعْْبَأُ .

* * *

إِلَّا الْإِنْسَانُ !! إِلَّا الْإِنْسَانُ !!

٨ لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ كَانَ مَدْرَجُ أَوَّلِهِ عَلَى أُمِّهِ الْأَرْضِ ؟ وَأَيُّ

٩ هَذِي كَانَ لِفَرْطِهِ فِي مَطْلَعِ الْفَجْرِ ؟

(١) سُدى : مهملاً غير مأمور ولا منتهى مُسَدَّد . الهمَل : الضال المتروك
بلا بيان يهديه أو يحكمه .
(٢) النّهج الأوّل والهُدَى القديم : هو الفِطْرَة التى فَطَر الله عليها آدم وولده
قبل اختلافهم وضلالهم ، ونزول التكليف ، ونُعْثَة الأنبياء .

(٤ - ٦) أنبط : استخرج الماء من بطن الأرض . الذخائر : (جمع ذخيرة) :
وهو ما تخبّره فأخفّيته ودفنته عن العيون . يستبحر : ينشق ويتسع ويصير كالبحر
لا ينقطع ماؤه . السرائر (جمع سريرة) : وهو ما كان مكتوماً كالسرّ ، لا يعرف حتى
تعلنه . والفتح : ما انفتح بعد استغلاق .

(٧) تأيّد : صار ذا أيدٍ وقوة وتمكّن . تأنّث : تقادم عهده وثبت أصله . عمّر :
عاش وبقي زماناً طويلاً .

(٩) حاد : مال عنه وعدل إلى غيره . مَرَق : خَرَقه وخرج إلى ضلال
المسالك .

- ١ إِنَّهُ كَكُلِّ حَيٍّ ، لَمْ يُخْلَقْ سُدًى وَلَمْ يُتْرَكْ هَمَلًا ، سَلَكَ لَهُ
- ٢ رُبُّهُ النَّهَجَ الْأَوَّلَ حَتَّى يَتَكَاثَرَ ، وَآتَاهُ الْهَدَى الْقَدِيمَ حَتَّى
- يَسْتَحْكِمَ ، وَسَدَّدَ يَدَيْهِ حَتَّى يَشْتَدَّ ، وَأَنَارَ بَصِيرَتَهُ حَتَّى
- ٤ يَسْتَكْمِلَ ، وَأَثْبَطَ فِيهِ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ حَتَّى يَسْتَبْجِرَ ، وَفَجَّرَ
- فِيهِ سَرَائِرَ الْإِتْقَانِ حَتَّى يَسُودَ وَيَتَمَلَّكَ ، وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ حَتَّى
- يَسْتَفْهَمَ ، وَكَرَّمَهُ بِالْفَتْحِ حَتَّى يَتَغَلَّبَ .
- ٧ فَلَمَّا ثَبَّتَ عَلَيْهَا وَتَأَيَّدَ ، وَتَأَثَّلَ فِيهَا وَعَمَرَ ، نَظَرَ إِلَى
- مَعْرُوفِهَا فَاعْتَبَرَ ، وَهَجَمَ عَلَى مَجْهُولِهَا فَاسْتَنَكَّرَ ، فَكَأَنَّهُ مِنْ
- ٩ يَوْمِئِذٍ حَادٍ عَنِ النَّهْجِ الَّذِي لَا يَخْتَلِّ ، وَمَرَقَ مِنَ الْهَدَى
- الَّذِي لَا يَتَبَدَّلُ .

(١) تمرس : احتك بالشئ فأثر فيه . أسلم : ترك مخذولاً بلا هداية .

(٢) نزع : حن واشتاق .

(٤) احتفر : بذل الجهد في الحفر . أكذى حافرُ البئر : إذا حفر فبلغ الصخور ، فقطع الحفرَ خيبةً وبأساً .

(٥) نبعث : انفجر منها الماء ينبوعاً . نذت : نفرت هاربة واستصعبت . استقادت : خضعت وأعطته المقادة .

(١٠) جاشت نفسه : فارت وارتفعت . والصباية : بقية الماء التي تصب .

- ١ أَبْتَلَى مِنْ يَوْمَيْهِ فَمَرَسَ ، وَأَسْلِمَ لِمَشِيئَتِهِ فَتَحَيَّرَ . جَارَ
- ٢ وَعَدَلَ ، فَعَرَفَ وَجَرَّبَ . أَخْطَأَ وَأَصَابَ ، فَفَكَّرَ وَتَدَبَّرَ . نَزَعَ
- إِلَى النَّهْجِ الْأَوَّلِ ، فَأَخْفَقَ وَأَدْرَكَ . تَأَقَّ إِلَى الْهَدْيِ الْقَدِيمِ ،
- ٤ فَأُعْطِيَ وَحُرِّمَ . أَحْتَفَرُ ذَخَائِرَ الْفِطْرَةِ ، فَأَكْدَتْ عَلَيْهِ تَارَةً
- ٥ وَنَبَعَتْ . التَّمَسَّ شُورَادَ الْإِتْقَانِ ، فَتَدَثَّ عَلَيْهِ مَرَّةً وَاسْتَقَادَتْ .
- وَإِذَا كُلُّ صُنْعٍ يَتَقَاضَاهُ حَقُّ إِحْسَانِهِ ، وَكُلُّ عَمَلٍ يَجْنُ بِهِ إِلَى
- قَرَارَةٍ إِثْقَانِهِ . فَعِنْدَيْهِ حَاكُ الشُّكِّ فِي صَدْرِ اللَّاحِقِ ، حَتَّى قَدَحَ
- فِي تَمَامِ صُنْعِ السَّابِقِ ، فَاسْتَدْرَكَ عَلَيْهِ . وَقَلِقَ الْوَارِثُ ، حَتَّى
- خَافَ تَقْصِيرَ الذَّاهِبِ ، فَاسْتَنْكَفَ الْإِذْعَانَ إِلَيْهِ . فَكَذَلِكَ
- ١٠ جَاشَتْ نَفْسُهُ ، حَتَّى أَنْدَقَتْ صُبَابَةً مِنْهَا فِيمَا يَعْمَلُ ، وَتَضَرَّمَ

(١) الميسم : أثر الوسم بالنار . تدلّهُ : ذهب عقله من الحب والهوى .

(٢) استجداد : وجد لذة جودته وحسنه .

(٣) الزهو : التيه والفخر والعظمة .

(٥) نختله : خدعه على حين غفلة .

(٦) عدت إليه : أسرعته إليه على حين بغتة . والنبوة : القلق الذى يمنع الاطمئنان .

(٧) أعلام (جمع عَلَم) : وهو المنار الذى يُنصَّب فى الطرق لهداية السارين .

(٨) رَكَدَ البرقُ : سكن وميضه . واليوارق (جمع بارقة) : وهى السحابة ذات

البرق .

- ١ قلبه حتى ترك ميسمه فيما أنشأ ، فتدله بصنع يديه ، لأنه
- ٢ استودعه طائفة من نفسه ، وفتن بما استجد منه ، لأنه أفنى
- ٣ فيه ضيراً من قلبه . وإذا هو يستخفه الزهو بما حاز منه
- وملك ، ويضنيه الأسى عليه إذا ضاع أو هلك .

- ٥ هذا هو الإنسان وعمله . فإذا دبَّت بينهما جفوة تخيل
- ٦ النفس حتى تملّ وتسام ، أو عدت إليهما نبوة تراود القلب
- ٧ حتى يميل ويعرض ، أنطمست عندئذ أعلام النهج الأول ،
- ٨ وركدت بوارق الهدى المتقادم ، وبقي الإنسان وحيداً
- ملوماً محسوراً لا يزال يسأل نفسه : فيم أعمل ؟ ولم خلقت ؟
- وفيم أعيش ؟

(٨) صافاه : أخلص له الحلب ، وأعطاه صَقْرَ مودته وهمه .

فما يكون جوابه إلا حيرة لا تهدأ ، وهيباً لا يطفأ ،
وظلاماً لا ينقشع .

* * *

بل حسبي وحسبك . فلقد خشيتُ أن تقول لى :
إنما أنتَ تحدثنى عن الفنّ ، فهذه صفة أهله = لا عن
العمل ، فليس هذا من نعتيه ! وكأني بك قد قلت : إن
الفنّ ترفُّ مُستحدث ، أمّا العملُ فشقاءٌ مُتقادم . هذا
مما نَعَجِّلُه الإنسانُ وعَناهُ لقضاء حاجته ، وذلك مما تَأَنَّى
فيه وصافاهُ للاستمتاع ببلذته . والإنسان إذا جودَ العمل ،
فمُنْتَهَى هَمُّهُ أن يجعله على قضاء مآربه أَعْوَنَ ، أو يكون له
٨ فى أسباب معيشته أنجح وأريح . أمّا الفنّ ، فَثَمَرَةٌ لغير

(١ ، ٢) المتألق : الذى يعمل الشئ بتجويد يأتي فيه بالعجب ، حباً لما يعمل وإعجاباً به . ثرة : غزيرة الماء . لاعج : محرق يَسْتَعِرُ فى القلب ويترك فيه آثاراً .

(٤) ممتن : مبتدل . ومذخور : يتخذ المرء ذخيرة يصطفى بها ويضن بها .

(٥) فسق : خرج منها إلى الضلال . والتلاد : القديم الموروث الذى يولد معك .

(٦) استغواه : طلب غوايته وضلاله . وانسلخ : نزع نفسه منه . والركاز : أصله ، قِطْع الذهب والفضة المركوزة المدفونة فى باطن الأرض . والجبلة : الطبيعة الراسخة التى يبنى عليها الخُلُق .

(٧) يعتسفه : يركب طريقه بلا روية ولا هداية ولا أناة .

(٩) الضراوة : اعتياد الشئ حتى لا يكاد المرء يصبر عنه . والنهمة : الشهوة التى تسوق النفس فلا تكاد تنتهى . انبت : أتعب دابته فى السير حتى انقطعت بلا رجعة .

(١٠) الفلاة : الصحراء المنقطعة لا ماء بها ولا أنيس . مطموسة : دارة لا أثر فيها .

(١) عضل : ضاق فلم يدخل ولم يخرج .

(٤) الحبيب : المحبوب . التليد : التقديم الموروث . استوى : بلغ غاية نمائه واعتدل .

(٥) استحصد : حان له أن يؤتى حصاده . يعتمله : يجاهد في عمله .

(٧) يرق : يريق ويتلأأ .

(٩) يسفر : يشرق ويبين ويتوضح . والمدب : موضع ديبب الأقدام .

(١٠) الدروس : ذهاب الآثار وإحماؤها . والعفاء : تراكم التراب الذى يطمس

الآثار . استشرى البرق : تتابع لمعانه . والوميض : لمعان البرق فى نواحي الغيم .

(١١) يفصم : ينفصل عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله .

- ١ شجرته ، يَسْقِيهَا مَتَائِقَ مِنْ يَنَابِيعِ ثَرَّةٍ فِي وَجْدَانِهِ ،
وَيُنْضِجُهَا مَشْغُوفَ بِلَاعِجٍ مِنْ وَجْدِهِ وَأَفْتَانِهِ ، فِي غَيْرِ
مَخَافَةٍ مَرْهُوبَةٍ ، وَلَا مَنَفْعَةٍ مَجْلُوبَةٍ . فَذَاكَ إِذَنْ بِطَبِيعَتِهِ
٤ مُسْتَهْلِكٌ مُمْتَهِنٌ ، وَهَذَا لِحُرْمَةِ نَشَاتِهِ مَذْخُورٌ مُكْرَمٌ .
- ٥ وَأَقُولُ : بَلْ أَنْتَ تُحَدِّثُنِي عَنِ الْإِنْسَانِ وَقَدْ فَسَقَ عَنِ تِلَادِ
٦ فِطْرَتِهِ ، وَاسْتَعْوَاهُ الشُّحُّ حَتَّى أَنْسَلَخَ مِنْ رِكَازِ جِبِلَّتِهِ . غَرَّةُ
٧ مَا أُوتِيَ مِنَ التَّدْبِيرِ ، فَاقْتَحَمَ عَلَى غَيْبٍ مُدَبَّرٍ ، يَعْتَسِفُهُ
بَسْفَاهَةُ جُرْأَتِهِ . وَاسْتَخَفَّهُ مَا أُعِينَ بِهِ مِنَ الْمَشِيشَةِ ، فَهَجَمَ
٩ عَلَى خَيْرٍ مَبْذُولٍ ، يَسْتَكْثِرُ مِنْهُ بِضَرَاوَةِ نَهْمَتِهِ . فَأَثْبَتَ مِنْ
١٠ يَوْمئِذٍ فِي فَلَاةٍ مَطْمُوسَةٍ بِلَا دَلِيلٍ ، يَظَلُّ يَكْدَحُ فِيهَا كَدْحًا
حَتَّى يُنَادِيَ لِلرَّحِيلِ !

- ١ جَاءَ مُيسَّرًا لشيءٍ خُلِقَ له ، فظلمه حقّه حتى عَضِلَ
بأمره فتعسَّر ، وهُدِيَ مسدَّدًا إلى غاية ، ففعل عنها حتى
تبدَّد خطوهُ واختلَّ . ولو دَانَ الإنسانُ بالطاعة لفطرته
- ٤ المكنونة فيه منذ وُلِدَ ، لأفضى إلى خبيئها التَّليد إذا ما آستوى
- ٥ نَبْئُهُ وأستحصد . ولصارَ كلَّ عملٍ يَعْمَلُهُ ، تدرييًا
لما استعصى منه حتَّى يلينَ وينقاد ، وتهديًا لما تراكم فيه حتى
- ٧ يَرِفَّ ويتوهَّج . فإذا دَرَبَ عليه وصبر ، أزال الثَّرى عن نَبْعٍ
مُنْبِثٍ ، فإذا ألحَّ ولم يَمَلَّ ، انشَقَّتْ فطرته عن فيضٍ
- ٩ متدفق . ويومئذ يُسْفِرُ لعينيه مدبُّ التَّهَجِّ الأول ، بعد
- ١٠ دُرُوسه وعفائه ، ويستشْرِى في بصيرته وميضُ الهدى
- ١١ المتقادم ، بعد ركدته وخفائه . وإذا كلَّ عملٍ يَفْصِمُ عنه

(٣) الحشاشة : روح القلب ، وَرَمَقُ حياة النفس .

(٤) الصبوة : الحنين الداعى إلى الميل مع الهوى .

(٦) الإرث : الأصل الموروث .

(٧) السليقة : الطبيعة التى لا تحتاج إلى تعلم . معرق : أصيل : له عروق
ممتدة إلى أصوله .

(٨) عَرَّضُ البشر : عِمَارُهُمْ وَكَثْرَتُهُمْ ، بلا تحديد أو تعيين .

مُتَقَنَّاً ، وكأنَّه لم يَجْهَدْ في إِتْقَانِهِ ، وإذا هو مُشْرِفٌ فِيهِ عَلَى
 الغَايَةِ ، وكأنَّه مَسْلُوبٌ كُلُّ تَدْبِيرٍ وَمَشِئَةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَفْصِمُ
 ٣ عَنْهُ حِينَ يَفْصِمُ ، إِلَّا مَطْوِيًّا عَلَى حُشَّاشَةٍ مِنْ سِرِّ نَفْسِهِ
 ٤ وَحَيَاتِهِ ، مُوسِوْمًا بِلَوْعَةٍ مُتَضَرِّمَةٍ ، عَلَى صَبْوَةٍ فَنِيَتْ فِي
 عِشْرَتِهِ وَمُعَانَاتِهِ .

٦ فَالْعَمَلُ كَمَا تَرَى ، هُوَ فِي إِرْثِ طَبِيعَتِهِ فَنٌ مُتَمَكِّنٌ ،
 ٧ وَالْإِنْسَانُ بِسَلِيْقَةِ فِطْرَتِهِ فَتَّانٌ مُغْرِقٌ .

* * *

٨ وَإِنِّي لَمُحَدِّثُكَ الْآنَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ غُرَضِ الْبَشَرِ ،

(١) صابر : تكلّف معها الصبر على عنت ومشقة .

(٢) نفسًا : قليلاً يُنفّس عنه .

(٦) توجست : تسمعت إلى صوته الخفى على خوف .

(٧) بُيضة الصيف : شدة حرّه .

(٨) مَجْتُمُهُ : جثومه في مكمنه لا يتحرك . والقُترَةُ : حُفرة الصائد يكمنُ

فيها . قليل التلاد : لا مال له موروث .

(٩) المهاد : الموضع الذى يمهده لنفسه .

١ يَتَعَيَّشُ بِكَدِّ يَدَيْهِ ، صَابِرَ الْفَاقَةِ عَامِينَ ، يَعْمَلُ عَمَلًا يُفْلِتُ
 ٢ نَفْسًا مِنَ الْغِنَى إِلَيْهِ ، أَغْوَاهُ ثَرَاءُ يَنْهَرُهُ ، فَمَا كَادَ يُسَلِّمُهُ
 لِلْبَيْعِ حَتَّى بَكَى عَلَيْهِ .

لم أعرفه ، ولكن حدثني عنه رجلٌ مثله عمله البيان ،
 ذاك فطرته في يديه ، وهذا فطرته في اللسان .

* * *

٦ هذا عامرٌ أخو الخضر : تَوَجَّسَتْ بِهِ الْوَحْشُ مِنْ
 ٧ عِرْفَانِهَا شِدَّةَ نِقْمَتِهِ ، جَاءَتْ ظَامِئَةً فِي بَيْضَةِ الصَّيْفِ ،
 ٨ فَرَاغَهَا مَجْئُمُهُ فِي قُتْرَتِهِ . قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأُسْهُمِ ،
 ٩ خَفَى الْمِهَادِ ، غَيْرَ مُقْلَةٍ تَضُرُّمِ . تَبَيَّنَتْ لَمَحَ عَيْنِيهِ ،

(١) شريعة الماء : الموضع الذى ينحدر إلى الماء .

(٥) الغَيْلُ : الشجر الكثير الملتف . نَمَاهَا : رفعها وسَوَّاهَا وانتسَبَتْ إليه .

(٦) اجْتَنَبَاهَا : اختارها واصطفها .

(٧) انْفَلَّ : تغلغل بين شجرها . الحَشَا : الجَوْف . العِيْض : الشجر النابت
بعضه فى أصول بعض .

(٨) أَنْحَى : وَجَّه وسَدَّد . اخْتَلَاهَا : جَزَّهَا وقطعها .

١ فانقلبْتُ عن شريعة الماء هاربة ، ذَكَرْتُ نِكَايَةَ مَرَمَاهُ ،
فآثَرْتُ مِيتَةَ الظَّمْأِ عَلَى فَتْكَةِ الْأُسْهُمِ الصَّائِبَةِ .

وما عامرٌ وقوسُهُ ؟!

فَدَعَ الشَّمَاخَ يُنْبِئُكَ عَنْ قَوَاسِيهَا الْبَائِسِ فِي حَيْثُ أَتَاهَا :

٥ أَيْنَ كَانَتْ فِي ضَمِيرِ الْعَيْبِ مِنْ غِيلِ نَمَاهَا ؟

٦ كَيْفَ شَقَّتْ عَيْنُهُ الْحُجْبَ إِلَيْهَا ، فَاجْتَبَاهَا ؟

٧ كَيْفَ يَنْغُلُ إِلَيْهَا فِي حَشَا عَيْصٍ وَقَاهَا ؟

٨ كَيْفَ أُنْحَى نَحْوَهَا مِبرأتُهُ ، حَتَّى آخَتَلَاهَا ؟

كَيْفَ قَرَّتْ فِي يَدَيْهِ ، وَأَطْمَأْنَنْتْ لِفَتَاهَا ؟

كَيْفَ يَسْتَوْدِعُهَا الشَّمْسَ عَامِنٍ .. تَرَاهُ وَيَرَاهَا ؟

(١) اللحاء : قشر العود من الشجر .

(٤) ذاق القوس : جذب وترها لينظر ما شدتها .

(٨) يهيمى : يسقط ويسيل .

(٩) ردأها : جعله لها رداءً . والبز : الثياب .

- ١ كَيْفَ ذَاقَ الْبُؤْسَ .. حَتَّى شَرِبَتْ مَاءَ لِحَاهَا ؟
 كَيْفَ نَاجَتْهُ .. وَنَاجَاهَا .. فَلَانَتْ .. فَلَوَاهَا ؟
 كَيْفَ سَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. وَسَوَّاهَا .. فَقَامَتْ .. فَقَضَّاهَا ؟
 ٤ كَيْفَ أُعْطِيَتْهُ مِنَ اللَّيْنِ ، إِذَا ذَاقَ ، هَوَاهَا ؟
 أَيْ تُكَلِّى أَغْوَلْتُ إِذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا ؟
 كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا ؟ كَيْفَ يُصْنَعِي لُبَّكَاهَا ؟
 كَيْفَ رِيْعَ الْوَحْشُ مِنْ هَاتِفِ سَهْمٍ إِذْ رَمَاهَا ؟
 ٨ كَيْفَ يَخْشَى طَارِقًا ، فِي لَيْلَةٍ يَهْمِي نَدَاهَا ؟
 ٩ كَيْفَ رَدَّاهَا حَرِيرَ الْبَرْ حِرْصًا وَكَسَاهَا ؟
 كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا ؟ وَتَعَالَى وَتَبَاهَى ؟

(٧) سفاها : دعاء عليه بخسران نفسه .

(٩) ثياب الخال : ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال . العصب : يرود كانت تصنع باليمن ، يعصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأقن موشياً ، لبقاء ما عُصِبَ منه أبيض لم يأخذه صبغ . والموشى : المختلط الألوان .
(١٠) الأديم : الجلد المدبوغ . المقروظ : المدبوغ بالقرظ . أربى : زاد ماله وارتفع على ما يستحقه . شراها : باعها .

كَيْفَ وَافَى مَوْسِمَ الْحَجِّ بِهَا ؟ .. مَاذَا دَهَاهَا ؟
 أَيْ عَيْنٍ لَمْحَتْ سِرَّهُمَا الْمُضْمَرَ ؟ .. بَلْ كَيْفَ رَأَاهَا ؟
 أَنْبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقُضُ إِلَيْهَا .. فَأَتَاهَا !!
 مَسَّهَا ذُو لَهْفَةٍ تَخْفَى .. ، وَإِنْ جَازَتْ مَدَاهَا
 - قَالَ : سُبْحَانَ الَّذِي سَوَّى !! وَأَفْدَى مَنْ بَرَّاهَا
 أَنْتَ .. !! بِعَيْنِهَا ..

- ٧ - نَعَمْ إِنْ شِئْتَ !! [تَعْسًا وَسَفَاهًا]
 - قَالَ : بِالتَّبَرِّ .. وَبِالْفِضَّةِ ، بِالْخَزِّ .. وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا
 ٩ بِثِيَابِ الْحَالِ .. بِالْعَصَبِ الْمُوشَى .. أَتَرَاهَا ؟
 ١٠ وَأَدِيمِ الْمَاعِزِ الْمَقْرُوظِ .. أُرَى مَنْ شَرَّاهَا !

(٢) شاة الوجه : صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس .

(٦) اشتراها : باعها .

(٧) تاه : من التَّيْه ، وهو العُجْب والفرح .

[كَيْفَ قَالَ الشَّيْخُ ؟ .. كَلَّا ! إِنَّهَا بَعْضِي ! وَالْمَالُ ؟ بَلِ الْمَالُ فَدَاهَا
 ٢ إِنَّهَا الْفَاقَةُ وَالْبُؤْسُ !! .. نَعَمْ ! .. هَذَا غِنَى !! .. كَلَّا وَشَاهَا
 بَلْ كَفَانِي فَاقَةً .. لَا ! .. كَيْفَ أُنْسَاهَا ؟ .. وَأَنْتَى ؟ ! وَهَوَاهَا]

لَمْ يَكْذُ .. حَتَّى رَأَى نَاسًا ، وَهَمَسًا ، وَشَفَاهَا :
 بَايَعَ الشَّيْخَ ! أَخَاكَ الشَّيْخَ ! .. قَدْ نِلْتَ رِضَاهَا !!
 ٦ إِنَّهُ رِنَحٌ .. ! فَلَا يُفْلِتُكَ ! .. أَعْطَى ، وَأَشْتَرَاهَا !

٧ وَرَأَى كَفْيَهُ صِفْرًا ، وَرَأَى الْمَالَ .. فَتَاهَا
 لَمْحَةً .. ، ثُمَّ تَجَلَّى الشُّكُّ عَنْهُ .. ، فَبَكَاهَا !

(٦) آسْتَهْلَ المطر : هَطَلَ واشتد انصبابه .

(٧) احتَفَلَ السيلُ : جاء بوملءٍ جَنَبي الوادى .

(٨) ابْتَزَّهَا : غلبها وَغَصَبَهَا وسلبها . والبلايلُ : وساوس القلب التى تضطرب فيه . الوجَلُ : شدة الخوف .

(٩) مَثَّلَ : انتصب قائما .

وَرثَاهَا بَدْمُوعٌ ، وَيَحَهُ ! كَيْفَ رَثَاهَا ؟
 فَتَوَلَّى .. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلَطَاهَا !
 حَسْرَةً تُطَوِّي عَلَى أُخْرَى .. ، فَأَغْضَى .. وَطَوَاهَا !

فاسمع إذن صدى صوت الشّماخ :

- تَجَاوَبُ عَنْهُ كُهُوفُ الْقُرُونِ ، تَرَدَّدَ فِيهَا كَأَن لَمْ يَزَلْ
 ٦ وَأَوْفَى عَلَى الْقِمَمِ الشَّامِخَاتِ : جِبَالٌ مِنَ الشَّعْرِ مِنْهَا آسَتْهَلْ
 ٧ تَحَدَّرُ أَنْغَامُهُ الْمُرْسَلَاتُ ، أَنْعَامَ سَيْلٍ طَعَى وَآحْتَفَلْ
 ٨ رَأَى حُمْرَ الْوَحْشِ ، فَأَبْتَزَهَا بِلَابِلِهَا مِنْ حَدِيثِ الْوَجَلْ
 ٩ رَأَاهَا ظِمَاءً إِلَى مَوْرِدٍ ، فَفَزَعَهَا عَنْهُ خَوْفٌ مَثَلْ

(٣) ذو الأراكة : موضع الماء . النَّهْل : أول الشرب عند ورد مناهل الماء .

(٤) حَلَّاهَا : طردها عن الماء ومنعها الورد .

فَطَارَتْ سِرَاعًا إِلَى غَيْرِهِ ، بَعْدَ تَضَرُّمٍ حَتَّى أَشْتَعَلَ
 فَلَمْ تَذُنْ حَتَّى رَأَتْ صَائِدَيْنِ ، فَصَدَّتْ عَنِ الْمَوْتِ لَمَّا أَهْلُ
 ٣ فَكَالْبَرْقِ طَارَتْ إِلَى مَأْمَنِ عَلَى ذِي الْأَرَاكِهَةِ صَافِي النَّهْلِ

٤ ... فَحَلَّاهَا عَنْ ذِي الْأَرَاكِهَةِ عَامِرٌ
 أَخُو الْخُضْرِ ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّوَاجِزُ

قَلِيلُ التَّلَادِ ، غَيْرَ قَوْسٍ وَأَسْنُهُمْ ؛
 كَانَ الَّذِي يَرْمِي مِنَ الْوَحْشِ ، تَارِزُ

(٤) راجفات الحذر : التي تُرْجَف بالقلب ، حتى يضطرب اضطراباً شديداً .

(٥) لَوَاهَا : صَرَفَ وجوهها عن الشرب .

(٧) الحَصَاة : الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال . والبئس : الفقير البائس الشديد البؤس .

(٨) مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ : التي تنهض به داعية الفرار .

مُطَلًّا بَزْرَقِ مَا يُدَاوِي رَمِيَّهَا ،
وَصَفْرَاءَ مَنْ تَبِعَ عَلَيْهَا الْجَلَاثِرُ

فَكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا الْبَيَانُ حَتَّى رَأَى بِعُيُونِ الْحُمْرِ ؟
٤ وَكَيْفَ تَغْلُغَلُ هَذَا اللِّسَانُ وَيَبِينُ عَنْ رَاجِفَاتِ الْحَذَرِ ..

٥ .. لَوَاهَا عَنِ الرَّيِّ عِرْفَانُهَا أَخَا الْخُضْرِ ، عِرْفَانٌ مَنْ قَدْ عَقَلَ !
وَعَلَّمَهَا أَيْنَ تُكْوَى الْجُنُوبُ بِنَارِ الطَّيِّبِ لِذَائِ نَزَلَ !
٧ وَأَنَّ الْحَصَا صَبَّةَ قَوْسِ الْبَيْسِ ، إِذَا أَتَقَذَفَ السَّهْمُ عَنْهَا قَتَلَ !
٨ يُسَابِقُ مُسْتَنْهَضَاتِ الْفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلَ !

(٣) صفراء : هى القوس لصفرتها . فاقعة : خالصة اللون مُشرقة .

(٤) الحائِمات : التى تحوم حول الماء عطاشًا . الحَتْفُ : الهلاك . أَظَلَّ : دنا
وقرب ، وألقى على الشيء ظِلَّهُ .

فَيَدْرِكُهَا الْمَوْتُ مَعْرُوسَةً قَوَائِمُهَا فِي الثَّرَى .. ، لَمْ تَزُلْ !
 وَعَرَفَهَا أَنَّهُنَّ السَّهَامُ : زُرْقٌ تَلَالُأٌ أَوْ تَشْتَعِلُ !
 ٣ وَصَفْرَاءُ فَاقِعَةٌ ، أَذْكَرْتُ مَصَارِعَ آبَائِهِنَّ الْأَوَّلِ
 ٤ سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الْحَائِمَاتِ ، وَقَوْسٌ تُطِلُّ بِحَتِيفٍ أَظْلُ !

تَخَيَّرَهَا الْقَوَاسُ مِنْ فَرْعٍ ضَالَةٍ
 لَهَا شَذْبٌ، مِنْ دُونِهَا وَحَوَاجِرُ

نَمَتْ فِي مَكَانٍ كَنَّهَا ، فَاسْتَوَتْ بِهِ ،
 فَمَا دُونِهَا مِنْ غِيلِهَا مُتَلَاخِزُ

فَمَا زَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ
وَيَنْعَلُ .. ، حَتَّى نَالَهَا وَهُوَ بَارِزُ

فَأُنْحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ ، غُرَابُهَا
عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ الْعِضَاهِ مُشَارِزُ

فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتْ فِي يَدَيْهِ .. ، رَأَى غِنَى
أَحَاطَ بِهِ ، وَأَزَوَّرَ عَمَّنْ يُحَاوِزُ

(٢) المنسِدِلُ : الطويل المسترخى المُرسَل .

(٣) عَضِيْلٌ : داهيةٌ منكر شديد العَلَبَة .

(٤) صَلَّى : دعا وعظَّم الله وقَدَّسه . هَلَّ : فرح وصاح .

(٥) الكَيْنُ : المكان الذى يَسْتَرها ويَحجِبها عن العيون .

(٦) مُهَدَّلَةٌ : مُرْخاةٌ متدلّية . الأُسْلُ : نبات دقيق القضببان طويل شديد الاستواء .

(٧) يَبِيس : يابس . ذو شَوَكَةٍ : ذو شَوْكٍ . أَشْرَطَها نَفْسُهُ : أعد لها نفسه ،
إِما أن يَنَالها أو يَهْلِك ، غير مُبالٍ .

(٨) الباتر : القاطع كالسيف . أَنْغَلَ : تغلغل . الْمُحْتَبِلُ : الذاهب العقل .

(٩) يَحْتُ البِيس : يستأصل اليباس ويرميه . وَيُرْدِي : يسقط الرطب .

وَيُغْمِضُ : يُوْغِل .

(١٠) حَيَّهْلٌ : كلمة تقال للحث والاستعجال .

- تَخِيرَهَا بِأَيْسٍ ، لَمْ يَزَلْ يُمَارِسُ أَمْثَالَهَا مُذْ عَقَلَ
 ٢ تَبَيَّنَهَا وَهِيَ مَحْجُوبَةٌ ، وَمِنْ دُونِهَا سِتْرُهَا الْمُنْسَدِلُ
 ٣ حَمَاهَا الْعُيُونُ فَأَخْطَأْنَهَا ، إِلَى أَنْ أَتَاهَا خَبِيرٌ عَظِيمٌ
 ٤ رَأَى غَادَةً تُشَقُّ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النَّعِيمِ ، فَصَلَّى وَهَلْ
 ٥ فَنَادَتْهُ مِنْ كِنِّهَا فَاسْتَجَابَ : لَيْلِيكِ ! [يَا قَدْهَا الْمُعْتَدِلُ !]
 ٦ سَتُورٌ مُهْدَلَةٌ دُونَهَا ، وَحُرَاسُهَا كَرِمَاجُ الْأَسَلِ
 ٧ يَبِيسٌ وَرَطْبٌ وَذُو شَوْكَةٍ !! فَأَشْرَطَهَا نَفْسُهُ .. لَمْ يُبَلِّ
 ٨ وَسَلَ لِسَانًا مِنَ الْبَايِرَاتِ ، .. وَأَنْغَلَّ عَاشِقُهَا الْمُخْتَبِلُ !!
 ٩ يَحْتُ الْيَبِيسَ ، وَيُرْدِي الرُّطَابَ ، وَيُغْمِضُ فِي ظُلُمَاتٍ تُضِلُّ
 ١٠ فَهَتَّكَ أَسْتَارَهَا بَارِزًا إِلَى الشَّمْسِ .. قَدْ نَالَهَا ! حَيْهَلُ !!

- (١) أَنَحَى : وَجَّهَ نَاحِيَتَهَا . اللِّسَانُ الْحَدِيدُ : هُوَ الْمِيزَانُ الْحَادِدَةُ الْقَاطِعَةُ .
خَصِيمٌ : شَدِيدُ الْخُصُومَةِ . جَدِلٌ : شَدِيدُ اللَّدِّ فِي الْخُصُومَةِ .
(٢) شَرِيسٌ : شَدِيدُ الشَّرَاسَةِ . عَتَى : طَالَ تَمَرُّدُهُ وَكِبَرُهُ . قَدِيمُ الْأَجَلِ :
مَتَقَادِمُ الْعُمُرِ .
(٣) الْجَذَلُ : الْفَرَحُ الَّذِي يَهْزُ الْأَعْطَافُ .
(٤) تَسْتَرْقِي : تَسْرِقُ خُلْسَةً مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

- (٦) الْمُقْتَبِلُ : الَّذِي سَوْفَ يَسْتَقْبِلُهُ .
(٧) الْحُلَّةُ : الصَّدَاقَةُ الَّتِي تَتَخَلَّلُ النَّفْسَ . أَنْفَتَلَ : انْصَرَفَ عَنْهُ مُسْرِعًا مُعْرِضًا ،
وَلَوَّى وَجْهَهُ عَنْهُ .

- ١ فَأُنْحَى إِلَيْهَا اللِّسَانُ الْحَدِيدُ يَبْرُقُ .. ، وَهُوَ خَصِيمٌ جَدِلُ
- ٢ عَدُوٌّ شَرِيسٌ ، لَهُ سَطْوَةٌ بِكُلِّ عَتَى قَدِيمِ الْأَجَلِ
- ٣ فَأَتَكَلَّ أَمَّا غَدَّتْهَا النَّعِيمُ ، وَرَاحَ بِهَا وَهُوَ بَادِي الْجَدَلِ
- ٤ فَلَمَّا أَطْمَأْنَنْتُ عَلَى رَاحَتِيهِ ، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرْقَانِ الْقُبْلُ
- رَقَاها ، فَأُخْبِي صَبَابَاتِهَا بِتَعْوِيدَةٍ مِنْ خَفَى الْعَزْلِ
- ٦ فَنَاجَتْهُ .. ، فَأَهْتَزَّ مِنْ صَبْوَةٍ ، وَمِنْ فَرَجٍ بِالْغِنَى الْمُقْتَبَلِ
- ٧ وَأَعْرَضَ عَنِ كُلِّ ذِي خُلَّةٍ ، غِنَى بِالَّتِي حَارَهَا .. وَأَنْفَتَلَ ..

فَمَظَّعَهَا عَامِينَ مَاءَ لِحَائِهَا ،

وَيَنْظُرُ مِنْهَا : أَيُّهَا هُوَ غَامِزُ

(٣) اللحاء : قشر العود من الشجر . الخَضِيلُ : الناعم الرطب الندى .

(٦) البَدَاذُءُ : رثاءة الهيئة وسوء الحال .

(٧) لَهِيْفٌ : شديد التلهُّف والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها .

(٨) المَجِير : شدة الحرّ عند نصف النهار .

(٩) تَمَحَّصٌ : سقط عنها فخلصت منه واشتدت . أُمْلُودَهَا : قوامها اللدن الناعم .

أَقَامَ الثَّقَافُ وَالطَّرِيدَةُ دُرَاهَا ،
كَمَا قَوْمَتْ ضِعْنُ الشُّمُوسِ الْمَهَامِزُ

- ٣ مَعَ الشُّمُوسِ عَامِينَ .. حَتَّى تَجِفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَايِ خَضِيلٍ
وَفِي الْبُؤْسِ عَامِينَ .. يَحْيَى لَهَا ، وَيُخَيِّبُ مِنْهَا : الْغِنَى وَالْأَمْلُ
تَرَدَّدَ عَامِينَ .. مِنْ كَهْفِهِ إِلَى مَهْدِهَا ، عِنْدَ سَفْحِ الْجَبَلِ
٦ يُعْنَى لَهَا ، وَهُوَ بَادِي الشَّقَاءِ ، بَادِي الْبَدَاةِ ، حَتَّى هَزِلُ
٧ يُقَلِّبُهَا بِيَدَي مُشْفِقٍ ، لَهَيْفٍ ، لَطِيفٍ ، رَفِيقٍ ، وَجِلٍ
٨ يُعَرِّضُهَا لِلْهَيْبِ الْهَجِيرِ ، زُؤُوفًا بِهَا ، عَاكِفًا لَا يَمَلُ
٩ فَلَمَّا تَمَحَّصَ عَنْهَا النَّعِيمُ ، وَاشْتَدَّ أُمْلُودُهَا ، وَانْقَتَلَ

- (١) النشور : العصيان وترك الطاعة . والمُبدَل : المفرط في دَلَالِه ، كدلال المرأة على زوجها .
- (٢) الثَّقَاف : حديدة في طرفها خَرَق يتسع للقوس ، ليقوم عِوَجها . الممثل : المحتذى بالأمر الذي يؤمر به .
- (٣) انْجَفَلَ : ارتاعَ فارتدَّ مسرعًا .

- (٥) الطريدة : قَصَبَةٌ مُجَوِّفَةٌ بقدر ما يلزم القوس ، فيها سَفَنٌ تَحْشِنُ ، والسَفَنُ (بفتحين) هو ما يُسمَّى عندنا اليوم (السنفرة) ، وهي عامية .
- (٦) مَجَلَّ : شديد المكر والقوة .

- (٨) رَبَّأَ : ناعمة يَبْرُق فيها ماء الصفاء . جَفَلَ : ارتاع من حُسْنِهَا .
- (٩) استَهَلَّتْ : تَلَأَلَّتْ . ضِعْنُهَا : عَسْرُهَا والتَوَاوُؤُهَا وصعوبة انقيادها . ابتهل : أخلص في تسبيح الله .

- ١ عَصَتُهُ ، وَسَاءَتْهُ أَخْلَاقُهَا نُشُوزًا .. فَلَمَّا آلَتَتْ كَالْمِدِيلِ
- ٢ أَعَدَّ الثَّقَافَ لَهَا عَاشِقٌ يُودِّبُهَا أَدَبَ الْمُثَنَّلِ
- ٣ وَعَضَّ عَلَيْهَا .. فَصَاحَتْ لَهُ ، فَأَشْفَقَ إِشْفَاقًا ، وَأُنْجِفَلَ
- فَجَسَّ ، فَعَاظَتْهُ وَأَسْتَعْلَظَتْ ، فَعَضَّ بِأُخْرَى ، فَلَمْ تُمَثِّلْ
- ٥ فَالْقَى الثَّقَافَ .. ، وَأَوْصَى الطَّرِيدَةَ أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَا ، لَا تَكِلْ
- ٦ وَالْقَمَّهَا قَدَّهَا ، فَاتَّبَرَتْ تُخَاشِنُهَا بِغَلِيظِ مَحِلِّ
- يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ الْعِنَادِ ، وَمِنْ دِرْعِهَا الصَّعْبِ ، حَتَّى تَذِلَّ
- ٨ فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ حُرَّةٌ ، وَمَمْشُوقَةٌ الْقَدِّ رِيًّا ، جَفَلَ
- ٩ وَسَبَّحَ لَمَّا آسَتْهَلَّتْ لَهُ ، وَلَانَ لَهُ ضِعْفُهَا .. وَابْتَهَلَ

وَذَاقَ .. ، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللَّيِّنِ جَانِبًا
كَفَى - وَلَهَا أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ

إِذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عَنْهَا ، تَرَنَّمَتْ
تَرْنَمَ تَكَلَّى أَوْجَعَتْهَا الْجَنَائِزُ

هَتُوفٌ .. ، إِذَا مَا خَالَطَ الظَّنِّي سَهْمُهَا !
وَإِنْ رِيعَ مِنْهَا أَسْلَمَتْهُ النَّوَاقِزُ

(٤) الْحَصَانُ : الحرّة الممتعة التي تعف عن الريبة .

(٥) جَهْلٌ : استنزله الشيطان واستخفه .

(٧) الْعَمِلُ : الذى يحسن العمل والحركة فيما يعمل .

(٨) أَذْوَبٌ : (جمع ذئب) . أمّها : هى الشجرة التي أخذت منها القوس .

(٩) على أربع : أى على أربع طاقات ، وهو أكرم للوتر وأقوى .

(١٠) حَنَّتْ : رجّعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي . الْمُضَيَّلُ : الذى

قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه ، فهو يَنْشُدُهُمْ .

- أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بِالْوَجْدِ عَامِينَ حَتَّى نَحِلْ
يُرْزَلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ بُؤْسٍ يُمِيتُ الْأَمَلَ
فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ ، إِذْ ذَاقَهَا ، هَوَى أَضْمَرَتْهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ
٤ تَبَيَّنَ ، إِذْ رَامَهَا ، حُرَّةً حَصَانًا ، تَعِفُّ فَلَا تُبْتَدَلُ
٥ تَلِينُ لِأَنْبِلِ عُشَّاقِهَا ، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهَلُ
فَأَغْضَى حَيَاءً .. ، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا ، قَدْ عَجِلُ
٧ فَأَهْدَى لَهَا حِلْيَةً صَاغَهَا بِكَفِّهِ ، وَهُوَ الرَّفِيقُ الْعَمِلُ
٨ تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذْوَيبٍ ، رَأَاهَا لَدَى أُمِّهَا تَسْتَظِلُّ
٩ أَعَدَّ لَهَا وَتَرًّا كَالشُّعَاعِ حُرًّا .. ، عَلَى أَرْبَعٍ قَدْ فُتِلُ
١٠ فَلَمَّا تَحَلَّتْ بِهِ ، مَسَّهَا فَحَنَّتْ حَنِينَ الْمَشُوقِ الْمُضِلُّ

(١) كَفَّلَهَا : جعلها تكفُّله وتضمُّه إليها كالأم . الصغير من بنى أمها : هو
أخوها السهم ، فإنهما من شجرة واحدة ، القوس والسهم أخوان .

(٤) أُنْبِضَ القوس : جذب وثرَّها ثم أرسله ، فيسمع له صوت كالبكاء .

(٥) أُرْنَتْ : صاحت صياح النائحة الحزينة .

(٦) يُفَجِّعُهَا : ينزل بها الفجعة بعد الفجعة .

(٧) أَعْرَضَ الظُّبَى : أمكن الرامى من عُرْضِهِ ، أى جانبه .

(٨) قَفَّاه : تبعه وجاء بعده . اضمحلَّ : سقط وانقشع .

- ١ فَكَفَّلَهَا مِنْ بَنَى أُمُّهَا صَغِيرًا ، تَرَدَّى بِرِيشٍ كَمَلْ
لَهُ صَلْعَةٌ كَبْصِصٍ اللَّهَيْبِ مِنْ جَمْرَةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلُ
فَضَمَّتْ عَلَيْهِ الْحَشَا رَحْمَةً ، وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ .. لَوْ عَقِلَ !
- ٤ فَجَنَّ جُنُونُ الْمُحِبِّ الْغُيُورِ .. ، فَأَبْضَ عَنْهَا أَبِي بَطْلُ !
- ٥ أَرَنْتِ تُبْكِي أَخَاهَا الصَّغِيرَ : وَيَحْيى !! أَخِي !! وَيَلَهُ !! أَيْنَ ضَلُّ
- ٦ فَظَلَّ يُفَجِّعُهَا : أَنْ تَرَى جَنَائِزَ إِخْوَتِهَا .. وَاتَّكَلَّ !
- ٧ فَأَعْرَضَ ظَبْيٌ فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا .. ، وَنَادَتْهُ : هَا ! قَدْ قُتِلَ
- ٨ وَقَفَّاهُ ظَبْيٌ فَصَاحَتْ بِهِ .. ، فَخَارَتْ قَوَائِمُهُ .. ، فَأَضْمَحَلَّ

فَآبَا .. يُسْأَلُهَا : هَلْ رَضِيتِ بِشُكْلِ الْأَجَبَةِ ؟ قَالَتْ : أَجَلْ

(١) تُبَادِلُ : تَبْدُلُ له من نفسه ما شاءَ ويُدُلُّ لها ، (بالذال المعجمة) .

(٧) تناسمه : تهدى إليه نسيمها . والشذا : الرائحة الطيبة .

١ فَبَاتَا بَلِيلَةً مَعْشُوقَةً تُبَاذِلُ عَاشِقَهَا مَا سَأَلَ

كَأَنَّ عَلَيَّهَا زَعْفَرَانًا تُمِيرُهُ
خَوَازِنُ عَطَارِ يَمَانٍ كَوَانِزُ

إِذَا سَقَطَ الْأَنْدَاءُ ، صَيَنْتِ وَأُشْعِرَتْ
حَبِيرًا ، وَلَمْ تُدْرَجْ عَلَيْهَا الْمَعَاوِزُ

يُعَاوِزُهَا ، وَهِيَ مُصَفَّرَةٌ ، عَلَيْهَا بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلَ
٧ تُنَاسِمُهُ عِطْرُهَا ، وَالشَّدَا شَدَا زَعْفَرَانٍ عَتِيقِ الْأَجَلِ

(٢) سَاهَرَهَا : بات معها ساهراً . يَزْدهِيه : يستخفُّ لُبُّه . وَالْعَرَفُ : الرائحة الطيبة يُعَرِّفُ بها صاحبها .

(٤) الْعَيْيَةُ : وعاء من أديم (جلد) تحفظ فيه الثياب . الْحَمَلُ : هُدْبُ القطيفة ورَثِيرُهَا . (أى : ما يعلو القطيفة من الهُدْبِ الناعم) .

(٦) قَرَّرَ : قد أخذته قِرَّةُ البرد ، وهو أشدُّه . وَالسَّمَلُ : الثوب الخَلَقُ الدريس البالى .

تَوَارَتْهُ الْعَيْدُ يَكْزُرُهُ لِرَيْتِهِنَّ ، خَفِيَ الْمَحَلُّ
 ٢ - فَسَاهَرَهَا ، يَزْدَهِيهِ الْجَمَالُ وَيُسْكِرُهُ الْعَرْفُ ، حَتَّى ذَهَلَ
 فَنَادَتْهُ ، وَيَحْك ! أَهْلَكْتَنِي ! أَغْنِنِي .. هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلَ
 ٤ - فَطَارَ إِلَى عَيْبَةٍ ضُمْنَتْ حَرِيرًا مُوشِي نَقْيَ الْحَمَلِ
 كَسَاهَا حَفِيٌّ بِهَا عَاشِقٌ ! إِذَا أَفْرَطَ الْحُبُّ يَوْمًا قَتَلَ
 ٦ - فَالْبَسَهَا الدَّفءَ ضِيئًا بِهَا .. وَبَاتَ قَرِيرًا .. عَلَيْهِ سَمَلٌ !!

فَوَافَى بِهَا أَهْلَ الْمَوَاسِمِ ، فَأَتَبَرَى
 لَهَا بَيْعٌ يُعْلَى بِهَا السَّوْمَ رَائِرُ

فَقَالَ لَهُ : هَلْ تَشْتَرِيهَا ؟! فَإِنَّهَا
تُبَاعُ بِمَا يَبِيعُ التَّلَادُ الْحَرَائِزُ

فَقَالَ : إِزَارٌ شَرْعِيٌّ ، وَارْبَعٌ
مِنَ السِّيَرَاءِ ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ

ثَمَانٍ مِنَ الْكُورِيِّ ، حُمْرٌ ، كَانَتْهَا
مِنَ الْجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ

وَبُرْدَانٍ مِنْ خَالٍ ، وَتِسْعُونَ دِرْهَمًا ،
عَلَى ذَاكَ مَقْرُوظٌ مِنَ الْجِلْدِ مَا عِزُّ

(١) ثَمَلٌ : أخذ فيه الشرابُ والسُّكْر .

(٤) أَمْنَةٌ : أمان من الخوف . غواشي الوَجَل : ما يغشاه من المخاوف .

(٥) الوَهَّاءُ : الأرض المنخفضة . التَّجَادُ : الأرض المرتفعة . القُلُل (جمع قُلَّة) :
وهو رأس الجبل .

(٦) الصُّلُّ : حية تقتل إذا نهشت من ساعتها ، لا تنفع فيها الرقية .

(٧) البائدات الأول : عادٌ وثمودٌ (وهم عرب) وطَسَمٌ وجَدِيسٌ وجُرْهُم ،
وما باد من العرب العاربة .

- ١ تَمَتَّعَ دَهْرًا بِأَيَّامِهَا وَلَيْلَاتِهَا نَاعِمًا قَدْ ثَمِلَ
 يَرَاهَا ، عَلَى بُؤْسِهِ ، جَنَّةً تَدَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا ، فَاسْتَظَلَّ
 تُصَاحِبُهُ فِي هَجِيرِ الْقَفَارِ ، وَفِي ظُلَمِ اللَّيْلِ أَتَى نَزْلَ
 ٤ فَيَحْرُسُهَا وَهُوَ فِي أَمْنَةٍ ، وَتَحْرُسُهُ فِي غَوَاشِي الْوَجَلِ
 ٥ يَجُوبُ الْوَهَادَ ، وَيَعْلُو النَّجَادَ ، وَيَأْوِي الْكُھُوفَ ، وَيَرْقَى الْقُلُلَ
 ٦ وَيُقْضَى إِلَى مُسْتَقَرِّ الْحُتُوفِ : فِي دَارِ نَمْرِ ، وَذَيْبٍ ، وَصَيْلٍ
 ٧ مَنَازِلَ عَادٍ ، وَأَشْقَى ثَمُودَ ، وَحَمِيرَ ، وَالْبَائِذَاتِ الْأُولَ
 مَجَاهِلَ مَا إِنَّ بِهَا مِنْ أُنَيْسٍ ، وَلَا رَسْمٍ دَارٍ يُرَى أَوْ طَلَّلَ
 يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ ، وَمَجْدُ الْقَدِيمِ ، وَكَيْفَ أَنْتَقَلَ !
 وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الْأَوَّلُونَ رَحِيقَ الْحَيَاةِ وَخَمَرَ الْأَمَلِ !

(٣) الدُّمْدَمَةُ : صوت مَرَعَجٍ يَرْجُفُ عَلَى النَّاسِ وَيُطْبِقُ .

(٤) سَاعٌ يَقَرُّ : بَيْنَا هُوَ يَسْمَعِي هُنَا وَهَنَاكَ ، إِذْ ثَبَتَ مَكَانَهُ . سَاقٍ : هُوَ سَاقِي
الْخَمْرِ . أَفْلٌ : غَابَ وَهَوَى .

(٧) الصَّدِيقُ ، وَالْخِلُّ : يُقَالُ لِلْمَذْكُورِ وَالْمُؤَنَّثِ جَمِيعًا . وَالْجِلَالَةُ : الصَّدَاقَةُ
الَّتِي تَتَخَلَّلُ النَّفُوسَ .

وَأَيْنَ الْأَخْلَاءُ كَانُوا بِهَا يَجْرُونَ ذَنِيلَ الْهَوَى وَالْعَزْلُ !
 وَمَلِكُ تَعَالَى ، وَطَاغِ عَتَا ، وَحُرُّ أَبِي ، وَحَرِيصُ غَفْلُ !
 ٣ فَدَمْدَمَ بَيْنَهُمْ صَارِخٌ : بَقَاءٌ قَلِيلٌ !! وَدُنْيَا دُولٌ !!
 ٤ فَعَرِشٌ يَخِرُّ ، وَسَاعٍ يَقَرُّ ، وَسَاقٍ يَمِيلُ .. وَنَجْمٌ أَفْلُ !!
 زَهْدْتُ إِلَيْكَ ! وَفَارَقْتُهُمْ : أَخِلَاءَ عَهْدِ الصَّبَا وَالْجَدَلِ
 فَنِعَمَ الصَّدِيقُ ! وَنِعَمَ الْخَلِيلُ ! وَنِعَمَ الْأَنْيَسُ .. وَنِعَمَ الْبَدَلُ !!
 ٧ صَدِيقٌ صَدَاقَتُهَا حُرَّةٌ ، وَخَلٌّ خِلَالَتُهَا لَا تُمَلُّ

وَغَابَا مَعَا عَنْ عُيُونِ الْخُطُوبِ ، وَعَنْ كُلِّ وَاشٍ وَشَى أَوْ عَدَلٍ
 وَعَنْ فِتْنَةٍ تُذْهِلُ الْعَاشِقِينَ ، تُضَيِّعُ الدُّجَى لِدَيْبِ الْمَلَلِ

(١) تَسْتَهْلُ : ترقع الصوت إهلاً بالحج ، وتلبيةً لله سبحانه .

(٢) أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ : هو ما أمر الله به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى :
(وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) . الْمَهْلُ : الاستنظار والتؤدة .

(٥) ظِمَاءُ الْقَطَا : القطا الوارد الماء . والقَطَا : طائر كالحمام (أصغر منه) يقيم
في الفيافي ، يطير طيرًا سريعًا في طلب الماء ، وينبئ أفحوصًا في الأرض ، ويبيض فيه
يبيضتين مُرْقَطَتَيْنِ . مُحْتَفِلٌ : فيه محافل الناس ومجامعهم .

(٨) جافلة : مدعورة تكاد ترتد من الفرع . جذوة النار : الجمرة الملتبهة .
المَقْلُ (جمع مُقْلَةٍ) : وهى العين سوادها وبياضها .
(٩) الكاسر : من جوارح الطير الذى ضم جناحين وانقض . تقاذف : هوى
على عجل . شَعَفَاتِ الْجَبَلِ : رؤوسه وقممه .

- ١ وَطَالَ الزَّمَانُ ، فَحَنَّتْ بِهِ إِلَى الْحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهْلُ
- ٢ أَذَانٌ مِنَ اللَّهِ ! كَيْفَ الْقَرَارُ ! وَأَيْنَ الْفِرَارُ ؟ وَكَيْفَ الْمَهْلُ ؟
- تُرَدِّدُهُ الْبَيْدُ بَيْنَ الْفَجَاجِ ، وَفَوْقَ الْجِبَالِ ، وَعِنْدَ السُّبُلِ
- أَصَاخَ لَهُ ، وَأَصَاخَتْ لَهُ ، وَلَبَّتُهُ فَأَمْتَلَتْ ، وَأَمْتَلَتْ
- ٥ وَطَارًا مَعًا كَظُمَاءِ الْقَطَا ، إِلَى مَوْرِدٍ زَاخِرٍ مُحْتَفِلٍ
- فَوَافَى الْمَوَاسِمِ ، فَاسْتَعْجَلَتْ تُسَائِلُهُ : مَنْ أَرَى ؟ .. أَيْنَ ضَلُّ ؟
- أَسْرَ إِلَيْهَا : أُولَئِكَ الْحَجِيجُ !! فَلَبَّى لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ
- ٨ وَنَادَتْهُ جَافِلَةٌ : مَا تَرَى ! أَجُذُوعَ نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلَّ ؟
- ٩ فَمَا كَادَ .. حَتَّى رَأَى كَاسِيرًا تَقَادَفَ مِنْ شَعَفَاتِ الْجَبَلِ

(١) نُؤْجُ : تلهب ، ويسمع لتلُّهها صوتٌ ، وهو أجيج النار . وتكفُ : تمتعه
وتحجزهُ .

(٤) المحتيل : المخادع الذى يطلب غفلة الصيد .

(٧) تنكَّب القوسَ : وضعها على منكبيه .

(٨) المُنَاد : الموعِظ . اعتمل : جاهد فى عملها .

(٩) مأكرة : كلمة مكر .

- ١ يُدَانِي الْخُطَا ، وَهُوَ نَارٌ تَوُجُّ ، وَيُبْدِي أَنَاةً تَكُفُّ الْعَجَلَ
وَمَدَّ يَدًا لَا تَرَاهَا الْعُيُونُ ، أَخْفَى إِذَا مَا سَرَتْ مِنْ أَجَلٍ
وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ ، تُحَالُ صَلِيلَ سَيْوِفٍ تُسَلُّ
٤ فَلَمَّا أَهْلٌ وَالْقَى السَّلَامَ ، وَافْتَرَّ عَنْ بَسْمَةِ الْمُخْتَبِلِ
وَقَالَ : أَذِنْتَ ؟! وَيُؤْمِنِي يَدَيْهِ تَمَسُّ أَنَامِلُهَا مَا سَأَلَ
رَأَى بَائِسًا مَا لَهُ حُرْمَةٌ تَكُفُّ أَدَى عَنْهُ .. ، بُؤْسٌ وَذُلٌّ
٧ وَقَالَ : فَدَيْتُكَ ! مَاذَا جَمَلْتَ ؟ وَمَاذَا تَنَكَّبْتَ يَاذَا الرَّجُلُ ؟!
٨ وَأَفْدَى الَّذِي قَدْ بَرَى عُودَهَا ، وَقَوْمَ مُنَادَهَا ، وَاعْتَمَلَ !!
٩ فَهَزَّتْهُ مَاكِرَةٌ ، لَمْ يَزَلْ يَتَّبِعُ بِهَا السَّمْعُ ، حَتَّى غَفَلَ

(١) المَحَالُ : الكيد والمكر الشديد الخفى . ذَلِيقُ اللسان : فصيح اللسان
طَلِيقُهُ .

(٢) رَاَزَ الشَّيْءَ : وضعه فى كفه ليعرف ثقله وامتحنه . وَمَعَاظِفُ القوس :
مقدار انعطافها إذا حَنَّاها وشَدَّ وترها .
(٣) الهَيْبَلُ : تُكَلُّ الولد .

(٤) خَالَسَهَا : نظر إليها خلسة . خَفِضَتِ : سكنت . القوارب : أعالي الموج .
الْجَأَشُ : رُوعَ القلب إذا اضطرب عند الْفَزَعِ . الْوَهْلُ : الفزع الملحق بالجنون .

(٩) رام الشَّيْءَ يرومه : طلبه وأرادَه . التلاد : المال الموروث الذى ولد عندك .
الجلل : الجليل العظيم القدر .

- ١ فَاسْلَمَهَا لِشَدِيدِ الْمَحَالِ ، ذَلِيقَ اللِّسَانِ ، خَفِيَ الْجِلْ
- ٢ فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتَيْهِ ، وَرَازَ مَعَاطِفَهَا وَالثَّقْلَ
- ٣ دَعَتْ : يَا خَلِيلِي ! مَاذَا فَعَلْتَ ؟ ! اسْلَمْتَنِي ؟ ! لِسِوَاكَ الْهَبْلُ !!
- ٤ فَخَالَسَهَا نَظْرَةً خَفَضَتْ غَوَارِبَ جَأَشٍ غَلَا بِالْوَهْلِ

- وَقَالَ : لَكَ الْخَيْرُ ! فَدَيْتَنِي بِنَفْسِكَ !!

- بَارِي قِسِي !

- أَجَلْ !!

- فَبِعَنِي إِذَنْ !!

- هِيَ أَعْلَى عَلَيَّ ، إِذَا رُمْتُهَا ، مِنْ تِلَادٍ جَلَلٍ !

(٣) تشتريها : تبيعها .

(٦) البُخْلُ (بفتحين) : هو البُخْلُ .

(٨) باسمها : تُظَرُّ إليها نظرة سَحَرٍ مُبْتَسِمٍ .

(١٠) دهاك : أصابك بدهاية . الخَيْلُ : الجنون .

- فَقَالَ : نَعَمْ ! لَكَ عِنْدِي الرُّضَى ، وَفَوْقَ الرُّضَى !

- [وَيَلَهُ مِنْ مُضِلٍّ !]

٣ - فَهَلْ تَشْتَرِيهَا ؟ ...

- نَعَمْ أَشْتَرِي !

- لَكَ الْوَيْلُ مِثْلَكَ يَوْمًا بَخِلَ !

٦ - فَدَيْتُكَ !! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ ! .. مَا بِي فَقْرٌ وَلَا بِي بَخْلٌ !

فَنَادَتْهُ ، وَيَحَاكَ ! هَذَا الْحَبِيبُ ! خُذْنِي إِلَيْكَ ، وَدَعْ مَا بَدَلَ

٨ فَبَاسَمَهَا نَظْرَةً .. ، ثُمَّ رَدَّ إِلَى الشَّيْخِ نَظْرَةً سُخْرٍ مُطِلٍّ :

- بَكِّم تَشْتَرِيهَا ؟ ...

١٠ فَصَاحَتْ بِهِ : حَذَارِ ! حَذَارِ ! دَهَاكَ الْحَبْلُ !!

(١) نَضَحَتْ : فَضَّتْ مَكْرَهَا كَالْعَرَقِ . دَعَّ عَنْكَ : احذر . تُعْتَقِلُ : تُؤَخِّدُ
من غَفَلَتِكَ .

(٢) الشَّرْعِيَّ : ثِيَابَ جِيَادٍ سَابِغَةٍ . وَالسَّيْرَاءَ : بُرْدٌ فِيهِ سَيُورٌ يَخَالِطُهَا الْحَرِيرُ .

(٣) التَّجَارُ (جمع تاجر) .

(٤) جَلَاها : صَقَلَهَا . الْهَرَقْلِيُّ : الرَّومِيُّ ، نَسَبَةٌ إِلَى هِرَقْلٍ الْمَلِكِ .

(٦) خَالٍ : مَكَانٌ تُصْنَعُ فِيهِ الْبُرُودُ الْجَيِّدَةُ .

(٨) الْغَدِيرُ : مَكَانٌ يَغَادِرُ السَّيْلُ فِيهِ بَعْضُ الْمَاءِ . وَالْوَشَلُ : الْمَاءُ يَتَحَلَّبُ مِنْ
جَبَلٍ أَوْ صَخْرَةٍ ، يَقْطُرُ قَلِيلًا قَلِيلًا ، لَا يَتَّصِلُ قَطْرُهُ .

١ لَهُ رَاحَةٌ نَضَحَتْ مَكْرَهَا عَلَى ، فَدَعَّ عَنْكَ ! لَا تُعْتَفَلْ

٢ - فَقَالَ : إِزَارٌ مِنَ الشَّرْعِيِّ ، وَأَرْبَعٌ مِنْ سِيَرَاءِ الْحُلَلِ

٣ بُرُودٌ تَضِيءُ بِهِنَّ التَّجَارُ إِذَا رَامَهُنَّ مَلِيكَ أَجَلْ

٤ وَمِنْ أَرْضٍ قَيْصَرَ : حُمْرُ ثَمَانٍ جَلَاها الْهَرَقْلِيُّ ، مِثْلُ الشُّعْلِ

ثَمَانٍ ! تُضِيءُ عَلَيْكَ الدُّجَى ! إِذَا عَمِيَ النَّجْمُ ، نِعَمَ الْبَدَلُ !

٦ وَبُرْدَانٍ مِنْ نَسِيجِ خَالٍ ، أَشْفُ وَأَنْعَمُ مِنْ خَدِّ عَذْرَاءٍ ... ، بَلْ

إِذَا بَسِطَا نَحْتِ شَمْسِ النَّهَارِ ، فَالْشَّمْسُ تَحْتَهُمَا ... ، لَيْسَ ظِلٌّ

٨ وَتَسْعُونَ مِثْلَ عُيُونِ الْجَرَادِ .. ، بَرَّاقَةٌ كَعَدِيرِ الْوَشَلِ

كَمِرَاقَةٍ حَسَنَاءَ مَفْتُوتَةٍ ، كَرَأْسِي سِنَانٍ حَدِيثِ صُقْلٍ

(١) الأديم : الجلد المدبوغ اللين . الحُصَل (جمع حُصْلَة) : وهى لفيفة من الشعر المجتمع .

(٣) غمغمَةُ : الكلام الذى لا يتبينه السامع . والتَّقِيَّة : كلمة ذات نغمة . والزَّارَى : العائب المظهر للاحتقار .

(٤) الإِسَارُ : الأسر . والسَّوَام : المساومة فى البيع . والشُّرَاك (جمع شرك) : وهو حبال الصائد يرتبك فيها الصيدُ . آحْتَبِل : وقع فى حباله الصائد .

١ أَجَلٌ .. !! وَأَدِيمُ كَمِثْلِ الْحَرِيرِ ، يُطَوَى وَيُرْسَلُ مِثْلَ الْخُصَلِ

٢ وَحَوْلُهُمَا زَفَرَاتُ الزَّحَامِ ، وَأُذُنٌ تَمِيلُ ، وَرَأْسٌ يُطَلُّ
٣ وَغَمْغَمَةٌ ، وَحَدِيثٌ خَفِيٌّ ، وَنَعْبَةٌ زَارٍ ، وَآبٌ سَأَلُ

٤ وَعَاشِقَةٌ فِي إِسَارِ السُّوَامِ !! وَعَاشِقُهَا فِي الشَّرَاكِ آخِثِلُ
تُنَادِيهِ مَلْهُوفَةٌ تَسْتَعِيثُ ، ضَائِعَةُ الصَّوْتِ .. ، عَنْهَا شُغْلُ

فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرَهَا ،
أَيَّاتِي الَّذِي يُعْطَى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ
فَقَالُوا لَهُ : بَايَعُ أَخَاكَ .. ، وَلَا يَكُنْ
لَكَ الْيَوْمَ عَنْ رِيحٍ مِنَ الْبَيْعِ لَاهِرُ

(٢) السُّورَةُ : المنزلةُ الرفيعةُ المشرقةُ الظاهرةُ . خَلَجَاتُ الخَبْلِ : ما يتجاذب المخبول من الاضطراب ، فتتفكك أوصاله ، ويتهايل بمنة ويسرة .
(٣) إِقْلَاتٌ (جمع قَلْتٍ ، بسكون اللام) : نُقْرَةٌ في الجبل يقطر فيها ماءٌ واشلٌ من سقف أو كهف ، وهو أصفى ماء . والعُرْنَيْنِ : أوَّلُ الأنفِ تحت مجتمع الحاجبين ، حيث يكون الشَّمَمُ ، وهو دليل على كرم الأصل .
(٤) الزاكى : النابت في نعمة وخصب وكرم . نمأه : جعله نامياً ممتلئاً ناعماً .
والسَّراءُ : المروءة والسخاء والشرف .

(٧) كاذُهُ بعقله : آحتال عليه وغلب عقله . المَجِلُّ : الشديدُ المكر والدهاء .
(٨) وَيْلَكَ : مثل ، ويلك ، تعجب وتهديد . السَّفَاهُ : السفه والطيش .
الحَدِيدُ : الصديق المصاحب . والخبْلُ : الصديق المتداخل المودة .

- ١ [أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ! .. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلُ ؟ !
- ٢ أَجَنٌّ ؟ ! نَعَمْ .. لَا ! .. أَرَى سُورَةً مِنَ الْعَقْلِ ، لَا خَلَجَاتِ الْخَبَلِ !
- ٣ وَعَيْنِي صَفَاءٌ كَمَا الْقَلَابِ ، وَعِرْنِينَ أَنْفِ سَمَا وَاعْتَدَلْ
- ٤ وَجَبْهَةَ زَاكِ ، نَمَاهُ النَّعِيمُ فِي سُودِدٍ وَسَرَاءِ نُبْلِ
- ٥ أُعْطِيَ بِهَا الْمَالَ ؟ ! هَذَا الْخَبَالُ ! قَوْسٌ وَمَالٌ كَهَذَا ؟ تُكِلُّ !!
- ٦ وَيَارَبِّ ! يَارَبِّ ! مَاذَا أَقُولُ ؟ .. أَقُولُ نَعَمْ ! . لَا ! فَهَذَا خَطْلٌ
- ٧ أُبِيعُ !! وَكَيْفَ ! .. لَقَدْ كَادَنِي بِعَقْلِي هَذَا الْخَبِيثُ الْمَجْلُ
- ٨ أَفَارِقُهَا ! وَيَكْ !! هَذَا السَّفَاهُ ! قَوْسِي ! كَلَّا ! خَدِينِي وَخَلِّ !!
- أَجَلْ !! بَلْ هُوَ الْبُؤْسُ بِأَدِ عَلَى ! فَاغْرَاهُ بِي ! وَيَحَهُ ! مَا أَضَلُّ !!
- يُسَاوِمُنِي الْمَالَ عَنْهَا ؟ ! نَعَمْ ! .. إِذَا لَيْسَ الْبُؤْسُ حُرًّا أَذَلُّ

(٣) التُّكْرُ : الدهاء المنكر الحبيث . آهْتَبَلَ الْفُرْصَةَ : اغتنمها وأَفْتَرَصَهَا على غفلة .

(٥) السَّفَلُ (جمع سِفْلَة) : وهم أراذل الناس وسُقَاطهم .

(٨) حَبَاه : أعطاه فأكرمه . فاطر التَّيْرَات : المبتدئ خلق الكواكب المنيرة . وبارى النبات : خالقه .

(١٠) الهُون : الهوان والخِزْي . والقَلْ : القلة والنقص .

- إِذَا مَا مَشَى تَزْدْرِيه الْعُيُونُ ، وَإِنْ قَالَ رُدَّ كَانَ لَمْ يَقُلْ
نَعَمْ ! إِنَّهُ الْبُؤْسُ !! أَيْنَ الْمَقْرُ مِنْ بَشَرٍ كَذَنَابِ الْجَبَلِ ؟
٣ ثَعَالِبُ تُكْرِ ثُجَيْدُ الثَّفَاقِ حَيْثُ تَرَى فُرْصَةً تُهْتَبَلُ
كِلاَبُ مُعَوَّدَةٌ لِلْهَوَانِ تُبْصِرُ بَيْنَ يَدَيَّ مَنْ بَدَلُ
٥ فَوَيْحِي مِنَ الْبُؤْسِ ! .. وَيْلٌ لَهُمْ ! .. أَرَى الْمَالَ تُبْلَا عَلَى السَّفَلِ
فَخُذْ مَا أُتَيْتَ بِهِ .. !! إِنَّهُ مَلِيكَ يُخَافُ ، وَرَبُّ يُجَلُّ
وَسُبْحَانَ رَبِّي ! يَدِي ! مَا يَدِي ! ؟ بَرَيْتُ الْقِسِيَّ بِهَا لَمْ أَمَلْ !
٨ حَبَانِي بِهَا فَاطِرُ النَّيَّاتِ ، وَبَارِي النَّبَاتِ ، وَمُرْسِي الْجَبَلِ !
وَأُودِعَهَا سِرِّهَا عَالِمٌ خَبِيرٌ بِمَكْنُونِهَا لَمْ يَزَلْ !
١٠ وَفِي الْمَالِ عَوْنٌ عَلَى مِثْلِهَا ! وَفِي الْبُؤْسِ هُونٌ ، وَذُلٌّ ، وَقُلٌّ !]

- (٢) أَجْثَثُ : فيه جُشَّةٌ ، أى غلظ وحمّة . صَلَّ الصوت : إذا خالطته جدّة كأنها صوت حديد على الصفا .
(٣) أَخْثِيلُ : أخذه الخَيْلُ ، كالجنون المضطرب .
(٤) أَشْفَى : أشرف . يَسْتَقِلُّ : ينهض .

- (٦) وَغَوَعَةٌ : صوت مختلط كَوَغَوَعَةِ الكلاب . وَالزَّجَلُ : الجلبة كأصوات اللاعبين .
(٧) يُؤْجُجُ : يُصَوِّتُ بكلام مرتفع سريع . وَيَعِجُّ : يصيح صياحا عاليًا كالمهدير . وَيَخُورُ : يصيح بصوت غليظ كخُور الثور . وَصَهْلٌ : أخرج صوتًا مبحوحًا كصهيل الخيل .

- (١٠) الْحَشْرَجَةُ : غَرْغَرَةُ المَيْتِ ، وَتَرْدُّ نَفْسِهِ .

- تَنَادُوا بِهِ : أَأَنْتَ ؟! مَاذَا أَهَّاكَ ؟! مَالِكَ يَا شَيْخُ ؟! قُلْ يَا رَجُلُ !
- ٢ وَآتٍ يَصِيحُ ، وَكَفَّ تُشِيرُ ، وَصَوْتُ أَجَشُّ ، وَصَوْتُ يَصِلُ !
- ٣ وَطَنْتُ مَسَامِعُهُ طَنَّةً .. ، وَزَاغَتْ نَوَاطِرُهُ وَأَخْتَبِلُ
- ٤ وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ الْمَرِيضِ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ مَا يَسْتَقِلُّ ..
- تَنَادِيهِ : وَيَحَكَ ! وَيَحَى !! هَلَكْتُ !! أَتُوكَ بِقَاصِمَةٍ ! وَاتَّكَلُ !
- ٦ تَلَفَّتْ يُصْنَعِي .. ، وَمِثْلُ اللَّهَيْبِ ضَوْضَاءُ وَغَوْعَةٍ فِي زَجَلُ
- ٧ فَهَذَا يُؤُجُّ .. ، وَهَذَا يَعِجُّ .. ، وَهَذَا يَخُورُ .. ، وَهَذَا صَهْلُ !
- وَدَانٍ يُسِرُّ .. ، وَدَاعٍ يَحُثُّ .. ، وَكَفَّ تُرَبُّتُ : بَعِ يَا رَجُلُ !
- لَقَدْ بَاعَ ! بَعِ ! بَاعَ ! لَا لَمْ يَبِعْ ! غَنَى الْمَالُ ! وَيَحَكَ ! بَعِ يَا رَجُلُ !
- ١٠ [وَحَشَرَجَةُ الْمَوْتِ : تُحَذِّنِي ... إِلَيْكَ !!

- كَيْتِكَ !! لَيْتِكَ ! [

يَعْ يَا رَجُلُ !!

[أَغْنِنِي ! . أَجَلْ !]

بَاعَ ! ماذا ؟! أْبَاعَ !؟ نَعَمْ بَاعَ !! قَدْ بَاعَ ! حَقًّا فَعَلَ !؟

[أَغْنِنِي ! أَغْنِنِي ! نَعَمْ !]

قَدْ رَبِحْتَ !! .. بُورِكَ مَالُكَ !

أَيْنَ الرَّجُلُ !؟

مَضَى ! ... أَيْنَ ! .. لا ، لَسْتُ أُدْرِي ! .. مَتَى ؟

لَقَدْ بَعْتَ !؟ ... كَلَّا وَكَلَّا ... أَجَلْ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَعْتَ !

كَلَّا ! كَذَبْتَ !

لَقَدْ بَعْتَ ! قَدْ بَاعَ !

- وَيَحْيى ! أَجَلْ

(٦) الخَمِيم : الماء الحار . نَسْتَهْلُ : نَنْصَبُ .

(٧) لَاعِجٌ : مُحْرِقٌ . الْحَبَلُ : اضطرابُ الجنون .

(٨) غَامَتْ : أَصَابَهُمَا غَيْمٌ كَالسَّحَابِ . وَهَطَلُ : يَسِيلُ مُتَابِعًا .

(٩) هَيْضٌ : انْكَسَرَ وَتَدَلَّى . وَأَعْتَقَلَ : حَبَسَ وَمَنَعَ الْكَلَامَ .

لَقَدْ بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. جُزَيْتُمْ بِخَيْرِ جَزَاءٍ ، أَجَلُ !! ..
 أَجَلُ .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا .. بَعْتُهَا !! أَجَلُ بَعْتُهَا !! لَا . أَجَلُ لَا . أَجَلُ

فَلَمَّا شَرَاهَا فَاضَتْ الْعَيْنُ عَبْرَةً ،
 وَفِي الصَّدْرِ حَزَارٌ مِنَ الْوَجْدِ حَامِزُ

[أَجَلُ .. لَا .. أَجَلُ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. أَجَلُ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. لَا .. أَجَلُ
 ٦ وَفَاضَتْ دُمُوعٌ كَمِثْلِ الْحَمِيمِ ، لَذَاعَةٌ ، نَارُهَا تَسْتَهْلُ
 ٧ بُكَاءٌ مِنَ الْجَمْرِ جَمْرُ الْقُلُوبِ ، أُرْسَلَهَا لَاعِجٌ مِنْ خَبَلٍ
 ٨ وَغَامَتْ بِعَيْنَيْهِ ، وَأَسْتَنْزَفَتْ دَمَ الْقَلْبِ يَهْطِلُ فِيمَا هَطَلِ
 ٩ وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ ، وَهِيضَ اللِّسَانِ لَهَا وَأَعْتَقِلْ

(٢) تخاذل : تتخاذل ، يخذل بعضها بعضًا .

(٤) السُّوم : المساومة في البيع . والأُزوم : أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها . مَثَل : انتصب .

(٥) صُلُود : صُلْبٌ أملس . عُثْلٌ : غليظ ثقيل ثابت .

(٦) الدَّئِبَى : الجراد قبل أن يطير . تَنْزَى : تثب وتنقر . دهاه : غشيه وأصابه . والطلُّ : المطر الخفيف .

(٩) كَرَّكَرَ الضاحك : ردَّد الضحك .

(١٠) السَّمْتُ : الهياة .

- وَأَغْضَى عَلَى ذِلَّةٍ مُطْرِقًا ، عَلَيْهِ مِنَ الْهَمِّ مِثْلُ الْجَبَلِ
 ٢ أَقَامَ ... ، وَمَا إِنَّ بِهِ مِنْ حَرَكَ ، تَخَاذُلَ أَعْضَاؤُهُ كَالَأَشْلُ
 وَفِي أُذُنَيْهِ ضَجِيجُ الزَّحَامِ ، وَ« بَعْ بَاعَ ، بَعْ بَاعَ ، بَعْ يَا رَجُلُ » !
 ٤ وَأُخْلِدَ فِي حَيْثُ طَارَ السُّوَامُ بِمُهْجَتِهِ ، كَأُرُومٍ مِثْلُ
 ٥ كَانَ صَخْرَةً نَبَتْ ، حَيْثُ قَامَ ، تِمْنَالُ حُزْنٍ صَلُودٍ عُنْتُ
 ٦ وَمِنْ حَوْلِهِ النَّاسُ مِثْلُ الدَّبَى عِجَالًا تَنْزَى ، دَهَا هُنَّ طُلَّ
 فَمِنْ قَائِلٍ : فَارَ ! رَدَّتْ عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلَ !
 وَمِنْ هَامِسٍ : وَيَحَهُ مَا دَهَاهُ ! وَمِنْ مُنْكَرٍ : كَيْفَ يَنْكِي الرَّجُلُ !
 ٩ وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرَكْرَتْ ضَحْكَةً لَهُ مِنْ مُزُوجٍ خَبِيثٍ هَزَلْ
 ١٠ وَمِنْ سَاخِرٍ قَالَ : يَا آكِلًا ! تَلَبَّسَ فِي سَمْتٍ مَنْ قَدْ أُكِلَ !

(١) هَيْئَةٌ : الكلامُ الخَفِيُّ كاللَّدُنْدَنَةِ . غَمَّعَتْ : اختلطت ولم تتبين .

(٣) الْوَعَى : الصوتُ المتداخل كأصوات النحل المجتمع . يَصِلُ : يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا غَطِشَتْ .

(٤) أَسْفَرَ : أشرق . أُنْجَبَ : انكشف . الْمُعْجِبُ : الخاشع المتضائل .

(٥) سَبْتَةٌ : سكون وإطراق بلا حراك .

(٦) الْوَقِيدُ : المريض الدَّيْفُ المُشْفَى على الهلاك .

(٩) هَامٌ مُحَلَّقَةٌ : رؤوس مخلوقة . رُجِفَ (جمع راجف) : ترتجف

وتضطرب . نَزِيعُ الْبَصَلِ : المنزوع بجذوره .

(١٠) أَغْرَبَ (جمع غُرَاب) . حَجَلٌ : يمشى مِشْيَةً قَبِيحَةً ، وهى مِشْيَةُ الْغُرَابِ .

- ١ وَمِنْ بَاسِطِ كَفِّهِ كَالْمُعْزَى ، وَهَيْئَةِ غَمَمَتٍ لَمْ تُقَلِّ
- وَمِنْ مُشْفِقِ سَاقِ إِشْفَاقِهِ وَوَلَّى ، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُؤَلِّ
- ٣ وَسَالَتْ جُمُوعُهُمْ فِي الرَّمَالِ .. وَمَاتَ الْوَعَى .. غَيْرَ حَسٍّ يَصِلُ
- ٤ وَأَسْفَرَ وَأَنْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُحِيطٍ خَاشِعٍ كَالْمُصَلِّ
- ٥ وَظَلَّ طَوِيلًا .. لَهُ سَبْتَةٌ ، وَإِطْرَاقَةٌ ، وَأَسَى يَنْهَمِلُ
- ٦ أَفَاقَ وَقِيدًا ، بَطِيءَ الْإِفَاقَةِ .. يَرْفَعُ مِنْ رَأْسِهِ كَالْمُطَلِّ
- وَقَلَّبَ عَيْنَيْهِ : مَاذَا يَرَى ؟ وَأَيْنَ الرَّحَامُ ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلُ !
- رَأَى الْأَرْضَ تَمْشِي بِهِمْ كَالْحَيَالِ ، أَشْبَاهُهُمْ خُشْبٌ تَنْتَقِلُ
- ٩ وَهَامٌ مُحَلَّقَةٌ رُجْفٌ ، وَأُخْرَى بَدَتْ كَتَرِيحِ الْبَصَلِ
- ١٠ وَأَغْرَبَةٌ : بَعْضُهَا جَائِمٌ يُحَرِّكُ رَأْسًا ، وَبَعْضٌ حَجَلٌ

(١) الحيازيم (جمع خَيْرُوم) : وهو ما اكتنف الحُلُقُوم . والقُلُلُ : الرؤوس ،
والحية تُفعل ذلك وهي تَتَشَمَّس .
(٢) أَرْفَلَةٌ : الجماعة تأتي بسرعة . والضَّبَاع : من لئام الحيوان . تَحْمَعُ :
تخرج . هَمَلٌ : مهملة ملقاة .
(٣) الضَّبَاب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل . مَرَقَنَ : خرجنَ مسرعات
كالسَّهْم من الرَّمِيَةِ (المَرْمِيَةِ) . حَفَلٌ : احتفل بموجه .

(٥) السَّنَةُ : خفة النَّعَاس .

(٦) الأَعْطَافُ (جمع عِطَافٍ) : وهو الجانب ، من الرأس إلى الورك .
(٧) الكَبَلُ : القَيْدُ الضخم الثقيل . يَخْتَلِجُ الشيء : ينتزعه . والغُلُ : القيد
الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق .
(٨) الناشط : الجاذب الدَّلُو من البئر . والرَّشَاء : حبل الدلو الطويل .
(٩) مُلْجَلْجَة : مترددة ثقيلة لا تكاد تخرج أو تدخل . هَلَلٌ : فَرَعٌ وَفَرَقٌ
وَنُكُوصٌ .

- ١ وَحَيَاتُ وَادٍ ، لِسَمْسِ الضُّحَى ثُلُوَى حَيَاظِمَهَا وَالْقُلُلُ
- ٢ وَأَزْفَلَةٌ مِنْ ضِيَاعِ الْفَلَاةِ تَحْمَعُ مِنْ حَوْلِ قَتْلَى هَمَلٍ
- ٣ وَهَنَا وَهَنَا ضِيَابُ مَرْقَنٍ مِنْ كُلِّ جُحْرِ لَسِيلِ حَفَلٍ
- وَتَوْبٌ يَطِيرُ بِلَا لَابَسٍ ، يَجْمِلُ مَعَ الرِّيحِ أُنَّى تَمَلُ
- ٥ تَمَطَّى بِهِ الْبَعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ ، وَمِنْ سِنَةِ كُفْتُورِ الْكَسَلِ
- ٦ وَدَبَّتْ إِلَيْهِ بَقَايَا الْحَيَاةِ ، فَرَفَعَ أُعْطَافَهُ وَأَعْتَدَلُ
- ٧ وَظَلَّ يُنَازِعُ كَبَلَ الذُّهُولِ ، وَيَخْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلِّ
- ٨ كَنَاشِيطِ ثَقِيلِ طَوِيلِ الرِّشَاءِ مِنْ هُوَةٍ فِي حَضِيضِ الْجَبَلِ
- ٩ رُوَيْدًا ، رُوَيْدًا ، فَتَابَتْ لَهُ مُلْجَلَجَةٌ يَعْتَرِيهَا هَلَلُ
- وَمِثْلُ الْحَمَامَةِ بَيْنَ الضُّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ غَوَاشِي بَلَلٍ

(١) رَكِينٌ : على الأركان ثقيل .

(٢) لَأْيًا بِلأى : بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس .

(٣) خامره : غشى نفسه . أبلٌ : برأ من مرضه وأفاق .

(٦) تزهـر : تتألأ . تأتكلُ : تنوَّج كالنار إذا اشتدَّ لهبها ، وأكل بعضها بعضها .

(٧) انظر : البيت الثاني ص : ٥١ .

(٨) الغنى : ما أخذه من المال والمتاع ، فكان له غنى . انتحى : اعتزل ناحية .

- ١ يُقَلَّبُ جُنْجُمَةً ، خَالَهَا كَجُلُودِ صَخْرٍ رَكِينَ حَبَلٌ
- ٢ فَلَايَا بِلَايٍ ، وَآبَتْ لَهُ مُبَعَّرَةٌ مِنْ أَقَاصِي الْعِلَلِ
- ٣ وَنَفْسٌ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةٌ ، وَخَامَرُهُ الْبُرءُ حَتَّى أَبْلُ
- أَحْسَ بِكَالْجَمْرِ فِي رَاحَتَيْهِ : سَعِيرٌ تَوَقَّدَ !! مَاذَا آخَتَمَلُ ؟
- وَيَسْطُ كَفَّيْهِ : مَاذَا أَرَى ؟ جَوَابٌ حَيْثُ وَلَوْ لَمْ يَسَلْ !!
- ٦ عُيُونٌ تُحْمَلِقُ فِي وَجْهِهِ ، مِنْ الْخُبَيْثِ تَزْهَرُ أَوْ تَأْتِكِلُ !!
- ٧ [أَجَلٌ بَعْتُهَا ؟ بَعْتُهَا ! بَعْتُهَا ! .. بَقَاءٌ قَلِيلٌ ، وَدُنْيَا دُولٌ !]
- ٨ وَالْقَى الْغَنَى لِلثَّرَى ! وَأَتَتْحَى ، وَنَفَضَ كَفَّيْهِ : [حَسْبِي ! أَجَلٌ]

(٢) الغُلُلُ (جمع غُلَّة) : وهى حرارة الحزن .

(٣) المُضْمَرَات : البعيدة التى يخفى مكانها . والغُيُوب (جمع غَيْب) : وهو الأرض المطمئنة ، التى يغيب فيها سالكها . والبلايلُ : قَلِقَاتِ الموم . والسَّجِلُ : الكتاب أو الصُّلُّ الذى يطوى .

(٤) نوافذُ : ماضيات ، كالسهام تنفذ فى النفس . تَنْتَضِلُ : تتراعى وتختصم .

(٩) تَدَجَّى : لبسه الظلام .

(١٠) الآية : العلامة العجيبة ، وهى يده . نَصَلَ : طَنَى لونها وذَهَب .

- وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتِ الثِّيَابِ وَالْبَرْ نُظْرَةً لَا مُحْتَفِلُ !
 ٢ وَوَلَّى كَمِيًّا ، ذَلِيلَ الْخُطَا ، بَعِيدَ الْأَنَاءِ ، خَفِيَّ الْعُلُلِ !
 ٣ وَأَوَّغَلَ فِي مُضْمَرَاتِ الْغُيُوبِ يَطْوِي الْبَلَابِلَ طَى السَّجَلِ
 ٤ أَرَادَ لِيَنسَى ، وَبَيْنَ الضُّلُوعِ نَوَافِذُ مِنْ ذِكْرِ تَنْتَضِلُ
 فَأَحْيَتْ صَبَابَتَهُ ، وَالْجِرَاحُ دِمَاءُ مُفْرَعَةٍ لَمْ تَسِلْ
 ثُرِيهِ الرُّوَى وَهُوَ حَتَّى النَّهَارِ ، وَتَسْرَى بِهِ وَهُوَ لَمْ يَنْتَقِلْ
 يُخَالِسُ مِنْكِبَهُ نُظْرَةً ، فَتَلَفَتْهُ حَسْرَةٌ تَسْتَدِلْ
 وَيَسْطُ كَفِّهِ مُسْتَعْرِقًا ، فَتَحْسَبُهُ قَارِيًّا قَدْ ذَهَلْ
 ٩ يَرَى نِعْمَةً لَبَسَتْ نِقْمَةً ، وَنُورًا تَدَجَّى ، وَسِحْرًا بَطَلَ
 ١٠ وَآيَتُهُ غَاثٌ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأَنْكَرَ مِنْ لَوْنِهَا مَا نَصَلَ

- (١) أَسْرَارُ الْكَفِّ : خطوطها التي تدلُّ على الْمُغَيَّبِ من أسرارها .
- (٢) السَّحْقُ : البالي . الْمُنْسَجِقُ . تَهْتِكُ : تَحْرُقُ وتساقط . الْأَدِيمُ : الجلد المدبوغ . التَّغِيلُ : الذى فسد دِبَاغُهُ فتفتت وَتَرَّقَّتْ .
- (٣) السَّنَا : الضوء العالى .
- (٤) بَهِيمٌ : مظلم لا ضوء فيه ، ولا مُنْقَذَ لبَصَرٍ .
- (٥) تَلَاوُذٌ : تدور كأنها تطلب ما تلوذ به . اللَّغْزُ : الطريق الملتوى المشكل يضلُّ سالِكُهُ . الداجى : الساتر ، الذى يَلْبِسُ ما فيه ويستتره . والدَّغْلُ : الشجر الملتف المشتبك الثبت .
- (٦) أَسْوَدَةٌ (جمع سَوَادٍ) : وهو شخص الشيء ، لأنه يرى من بعيد أسود .
- خَطَفَتْ : تسرع كالشعاع الخاطف .
- (٧) هَدَلٌ : غَنَى غناء الحمام .
- (٨) السُّدْفُ (جمع سُدْفَةٌ) : ظلمةٌ مختلطة بضوء يشوبها . الضُّلُّ : السُّدْرُ ينبت فى السهول ، تُسَوَّى من قضبانهِ السَّهَامِ .

- ١ وَأَسْرَارَهَا فَضَّهَا طَائِفٌ لَهُ سَطْوَةٌ وَأَذَى حَيْثُ حَلَّ
- ٢ وَسَحَقَ غِشَاءً عَلَى أَعْظَمٍ ، تَهْتَكُ مِثْلَ الْأَدِيمِ النَّغْلُ
- ٣ وَمَسَّتْ أُنَامِلُهُ رَجْفَةً ، تَسَاقَطَ عَنْهَا سَنَاهَا وَرَلَّ
- ٤ وَأَفْضَى بِنَظَرَتِهِ نَافِذًا إِلَى غَيْبِ مَاضٍ بِهِيمِ السُّبُلِ
- ٥ تَلَاوُذُ أَشْبَاحِهِ ، كَالذَّلِيلِ ، بِلُغْزِ نَحِيلٍ ، وَدَاجِي دَغَلٍ
- ٦ وَأُسُودَةٌ خَطِفَتْ فِي الظَّلَامِ هَارِبَةٌ مِنْ صَيُودٍ خَتَلِ
- ٧ وَطَيْرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَتْ ، وَآمِنَ طَيْرٍ وَدِيعٍ هَدَلِ
- ٨ وَشَقَّتْ لَهُ السُّدَفُ الْعَاشِيَاتِ حَسَنَاءُ ضَالٍ عَلَيْهَا الْحُلَّ
- أَضَاءَ الظَّلَامِ لَهَا بَعْتَةٌ ، وَقَوَّضَ خَيْمَتَهُ وَأَرْتَحَلَ
- أَطْلَتْ لَهُ مِنْ خِلَالِ الْعُصُونِ عَذَاءُ مَكْنُونَةٍ لَمْ تُنَلِّ

(١) الكلل (جمع كِلَّة) : وهى الستر الرقيق ، كالذى تكون فيه العروس .
وانظر البيت الرابع ص : ٤٠ .

(٣) المستوفز : هو القاعد إذا استقلَّ على رجله يتهأ للقيام ، ولَمَّا يَسْتَوِ قائمًا
بعدُ . تَلَطَّى : التهب كاللظى .

(٦) انظر : البيت الثالث ص : ٥١ .

- ١ « رَأَى غَادَةً تُشَقَّتْ فِي الظَّلَالِ ، ظِلَالِ النَّعِيمِ » ، عَلَيْهَا الْكِلَلُ
 عُرُوسُ تَمَائِلِ مُخْتَالَةٍ ، تُمِيتُ بَدَلٌ ، وَتُحْيِي بَدَلٌ
 ٣ وَنَادَتْهُ ، فَارْتَدَّ مُسْتَوْفِزًا بِجُرْجٍ تَلْطِئُ وَلَمْ يَنْدَمِلْ :
 أَفُقْ ! قَدْ أَفَاقَ بِهَا الْعَاشِقُونَ قَبْلَكَ ، بَعْدَ أَسَى قَدْ قَتَلَ !
 أَفُقْ ! يَا خَلِيلِي ! أَفُقْ ! لَا تَكُنْ حَلِيفَ الْهُمُومِ ، صَرِيعَ الْعِلَلِ
 ٦ فَهَذَا الزَّمَانُ ، وَهَذِي الْحَيَاةُ ، عَلَّمَتْنِيهَا قَدِيمًا : دَوْلُ !!
 أَفُقْ ! لَا فَقْدْتُكَ ! مَاذَا دَهَاكَ ؟ ! تَمَتَّعْ ! تَمَتَّعْ بِهَا ! لَا تُبَلْ !
 بِصُنْعِ يَدَيْكَ تَرَانِي لَدَيْكَ ، فِي قَدْ أُخْتِي ! وَنَعَمَ الْبَدَلُ !

(٣) انظر : البيت الثامن ص : ٥٩ .

(٤) استهل : رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه . وانظر : البيت السابع

ص : ٥٢ .

صَدَقْتَ ! صَدَقْتَ ! . وَأَيْنَ الشَّبَابُ ؟ وَأَيْنَ الْوَلُوعُ ؟ وَأَيْنَ الْأَمَلُ ؟

صَدَقْتَ صَدَقْتَ !! .. نَعَمْ قَدْ صَدَقْتَ ! وَسِرُّ يَدِكَ كَانَ لَمْ يَزَلْ

٣ حَبَاكَ بِهِ فَاطِرُ النَّيِّرَاتِ ، وَبَارِي النَّبَاتِ ، وَمُرْسِي الْجَبَلِ

٤ فَقُمْ ! وَاسْتَهْلْ ، وَسَبِّحْ لَهُ ! وَلَبَّ لِرَبِّ تَعَالَى وَجَلُّ

... وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، فَإِلَّا تَكُنْ رَضِيَتْ فَقَدْ أُمِلَّتْكَ ،
وَإِذَا أَنَا قَدْ أَسَأْتُ مِنْ حَيْثُ أَرَدْتُ الْإِحْسَانَ . وَلَكِنَّكَ
بَعَثْتَ كَوَامِنَ نَفْسِي مُنْذُ رَأَيْتُكَ ، فَتَوَسَّمتُ وَجْهَكَ ،
وَعَرَفْتُ فِيهِ شَيْئًا أَخْطَأْتُهُ فِي وَجْهِهِ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ زَمَانِنَا .
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْظِكَ وَأَعْظَ نَفْسِي بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، إِذْ
جَعَلَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ قُدُورَةً وَعِزَّةً ، وَأَتَاهُمْ مِنْ مَكْنُونِ عِلْمِهِ
مَا لَا يَغْفُلُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ ، وَلَا يُضَيِّعُهُ إِلَّا مُسْتَهِينٌ لَا يَبَالِي .
وَقَدْ بَلَّغْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ رَبِّهِ بَلَاغًا يُضِيءُ لِكُلِّ حَيٍّ نَهْجَ
حَيَاتِهِ ، وَيُمْسِكُ عَلَيْهِ هَدًى فِطْرَتِهِ ، إِذْ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقَنَهُ » وَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ
كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ،

وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ ، وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفَرَتَهُ ،
وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ . فَأَنْظُرْ إِلَى أَيْنَ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْلُغَ فِي
إِتْقَانِ مَا نَصْنَعُ ، وَإِحْسَانِ مَا نَعْمَلُ !

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثِّبَاتَ فِي الْأَمْرِ ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى
الرُّشْدِ ، وَالْإِتْقَانَ فِي الْعَمَلِ ، وَالْإِحْسَانَ فِيمَا نَأْتِي وَمَا نَذَرُ .
وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ .
وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا ، وَلِسَانًا صَادِقًا ، وَعَمَلًا صَالِحًا ،
وَسَدَادًا فِي الْخَيْرِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

من أخيك

القاهرة : ١٧ ربيع الآخر سنة ١٣٧١ هـ

أبو
محمود محمد زشكر

١٥ يناير سنة ١٩٥٢ م

... تلك هي قصيدة الشماخ ، بل تلك هي لؤلؤة
من لآلئ الشعر العربي القديم ، تتعاقب عليها العصور
والحقب ، وهي حيث هي جدّة ولألاء .

استوحى الشماخ في هذه القصيدة عاطفته ، فوصف قوسًا
صنعها قوَّاس ثم باعها ، فترقرقت تلك العاطفة بجداول
الحب والحنان ، وترنمت بأصوات الزهو والاعتزاز ،
واضطربت بمارج اللوعة والأسى ، في وصف ساحر بارع ،
شَمَخ به الشماخ على عظماء الشعر ممن استلهموا الهياكل
والجبال المقدسة .

وتذكرنا قَوْسُ الشماخ بْتُرْس أوميروس الذي صنعه

سادنُ النار المؤلّه للبطل أخيل ، وجعله أسطربلاً للأفلاك
وأجرام السماء ، ومحوراً للأرض وما تحويه من خلّاتق
وكائنات . وفي كلا الوصفين من روائع الخيال ورفائق الفن ،
ما لا يسلس زمامه إلا للنفس المحلقة والبيان المجنح . وم
لقصيدة الشماخ في تراثنا الجليل من أشباه ونظائر ،
لو نُزعت الغلالات عنها وجُليت للناس ، لتكوننّ الشاهد
العدل على العبقرية العربية .

وليست الجوانب الفنية في قصيدة الشماخ ،
ولا العواطف النبيلة فيها ، ولا الصلات الروحية بين الفن
وصاحبه ، ليس كل هذا هو الذى حدانا على كتابة هذه
الكلمة ، بل دفعنا إليها اغتباطنا بأن نجد الفن مجازاً يصل

بين الأرواح المجندة ، وموضوعاً تجرى عليه رسائل الإخوان ،
فترقى على سبحات الفن إلى سموات الفكر وفراديس الأدب
الخالد .

التقى صديقنا ، رفيق الصبا وخِذن الشباب ،
الأستاذ محمود محمد شاكر ، بصاحب دار المعارف
شفيق مبرى ، ولم يكونا قد التقيا من قبل ، وتطرق الحديث
بينهما إلى الكلام على العمل وتجويده ، والفن وسحر
أواخيه ، فإذا بالرجلين روحان مؤتلفان متعارفان ، يقدر كل
صاحبه ، ويكبر فيه الهمة الوثابة والهيام بالمثال الأعلى .

وشاء صديقنا الأستاذ محمود محمد شاكر أن يخلد ذلك

اللقاء برسالة يعبر فيها عن نظرتة إلى الإنسان وإلى الفن ،
فكانت قصيدة الشماخ هي المنفذ الذى نفذ منه إلى تصوير
أعماق النفوس ، وإبراز المعانى التى مسّها الشماخ مساً
رفيقاً ، فانقلبت صوراً حية ناطقة ، وأبانت عن مرامى
الشعر وأهدافه ، وتألّفت منهما ملحمة شعرية فريدة فى
بابها ، تحتل مكانها من الشعر الإنسانى الخالد .

عادل الغضبان

(مجلة الكتاب)

٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ

أول فبراير سنة ١٩٥٢ م

الناشر
دارالمدني بجدة
ت ٦٧١٣٤٢٤ ص ب ١٨٤٨٥

مطبعة المكي
المؤسسة العامة للكتاب
٦٨ شارع الميمنية - القاهرة - ت : ٨٢٧٨٥١